مجلة الابحاث التاريخية

مجلة الكترونية تهدف الى نشر الابحاث التاريخية والاثارية

العدد الاول ٢٠١٥



تصدر عن اشوربانيبال للكتاب

مجلة الابحاث التاريخية

مجلة عراقية متخصصة في الدراسات التاريخية والاثرية، تصدر في شكل الكتروني.

تدعو المجلة كافة الباحثين في العراق والوطن العربي الى تزويد المجلة بالموضوعات التاريخية والاثرية.

ترحب المجلة بإسهامات كافة الاساتذة، والباحثين، والاكاديميين المتخصصين، بالدراسات والتاريخية والاثرية.

موضوعات المجلة

المجلة متخصصة في الموضوعات الاكاديمية التي تهم الاساتذة الاكاديميين في الجامعات العراقية والعربية، وكافة الباحثين في الدراسات التاريخية والاثرية، والقراء المهتمين في حقل الدراسات التاريخية.

الموضوعات المنشورة بالمجلة تعبر عن رأي اصحاها، ولا تعبر عن وجهة نظر مجلة الابحاث التاريخية.

كيفية الحصول على المجلة



www.archive.org



www.mediafire.com

اصدار المجلة

تصدر المجلة عن اشوربانيبال للكتاب العراق-بغداد

المراسلات

ashurbaipal668@yahoo.com

ضوابط النشر

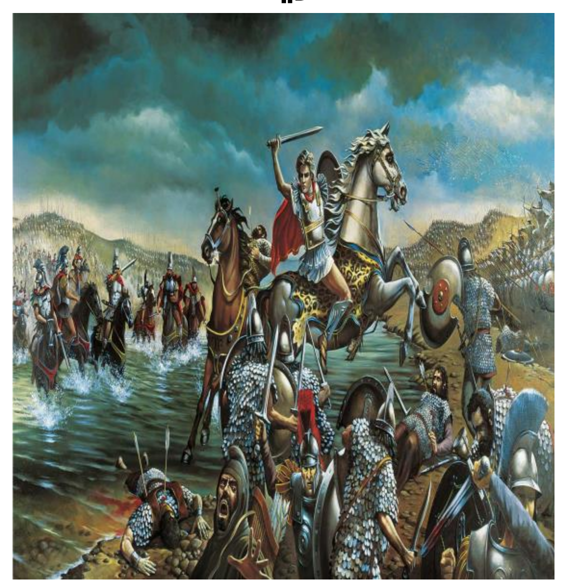
ترحب مجلة الابحاث التاريخية بكافة الدراسات والبحوث المتخصصة والرصينة المعنية بالتاريخ والاثار وفق الضوابط التالية:

- يتم نشر الابحاث الواردة للمجلة حسب الحقب الزمنية وهي: ابحاث التاريخ القديم، ابحاث التاريخ الوسيط(بما فيها الابحاث المعنية بالتاريخ الاسلامي)، ابحاث التاريخ الحديث، ابحاث التاريخ المعاصر.
- يتم نشر ابحاث الباحثين حسب تاريخ ورودها للمجلة
- تقبل الاعمال البحثية المكتوبة باللغة العربية واللغة الانكليزية، التي سبق نشرها في مجلات اكاديمية متخصصة، او لم يسبق نشرها.
- تحتوي الصفحة الاولى من البحث على العنوان، ودرجة الباحث العلمية(ان وجدت)، والجامعة التي ينتمي اليها، والبريد الالكتروني.
- الالتزام بالقواعد المتعارف عليها عالميا في شكل البحوث الاكاديمية حسب التسلسل: الملخص، موضوع البحث، الخاتمة، ملاحق(ان وجدت)، الهوامش، المصادر والمراجع.
- لا يلزم الباحث بعدد محدد من الصفحات.
- يقدم كل باحث نبذة مختصرة عن انجازاته العلمية مع اول بحث ينشره في المجلة.
- يقدم البحث بصيغة(word) حجم(A4)، بخط(Times New Roman)، والهوامش مكتوبة بصيغة هامش تلقائي.
- تتضمن النتاجات العلمية ما يلي: بحوث ودراسات اكاديمية- عروض الكتب-عروض الاطاريح الجامعية-اخبار المؤتمرات والندوات العلمية.
- تصدر اعداد المجلة اربع مرات في السنة.
- ترسل الاعمال البحثية الى البريد الالكتروني:

ahurbanipal668@yahoo.com

المحتويات

الشرق الأدنى القديم تحت حكم الاسكندر المقدوني (334-323 قبل الميلاد



الدكتور اسامة عدنان يحيى
كلية الاداب/ الجامعة المستنصرية

الملخص

في عام 334 قبل الميلاد تحرك الاسكندر المقدوني من بلاد اليونان نحو الشرق وفي غضون ثلاثة أعوام تمكن من تحطيم الإمبراطورية الاخمينية واحتلال مناطق الشرق الأدنى التي كانت خاضعة للفرس،وظهور إمبراطورية إغريقية لأول مرة في تاريخ اليونان.في هذا البحث ستتم معالجة القضايا الخاصة بالشرق القديم وأهمها كيف اتسمت سياسة الاسكندر تجاه مناطق الشرق الأدنى؟ وما هو موقف هذه المناطق من حكم الاسكندر المقدوني؟ وما هي النتائج الفعلية لاحتلال الاسكندر للشرق القديم؟.

إن دراسة سياسة الاسكندر وإدارته في الشرق الأدنى القديم ذات أهمية كبير لأنها تمثل البدايات الفعلية للسياسة التي سيطورها فيما بعد اليونانيون في الشرق سواء السلوقيون في إيران والعراق وسوريا أو البطالمة في مصر.

اتسمت سياسة الاسكندر المقدوني تجاه الشرق بسمات محددة، فقد اتخذ من النظام الفارسي في تقسيم الامبراطوريات الى ولايات مثالا له. كما سعى الاسكندر إلى ترسيخ المفاهيم الإغريقية في البلدان المحتلة ليرسي فيها فتوحاته. ولكن محاولة فهم موقف مناطق الشرق الأدنى من الاسكندر المقدوني واحتلاله لأراضيها مسألة مهمة وقد اختلفت هذه المواقف في كل منطقة عن الأخرى فبعض مناطق الشرق القديم قد رحبت بالإسكندر على انه محررها، والأخرى رفضت خضوعها له وقاومته بشدة

كان لاحتلال الاسكندر المقدوني للشرق بداية فعلية لمتغيرات سياسية وحضارية بعيدة المدى إذ سمح هذا الاحتلال وعلى نطاق واسع باحتكاك شديد بين الحضارتين اليونانية(الهلينية) والشرقية،

وكان ذلك الاحتكاك قد استمر في عهد الاسكندر وخلفائه السلوقيين والبطالمة.

1.سياسة الاسكندر المقدوني في الشرق الأدنى.

لا نعرف الكثير عن إجراءات الاسكندر الإدارية،ويعتقد الأستاذ اندرو روبرت برن إن الاسكندر لم يأت بجديد في معظم الترتيبات الإدارية التي قام بها.وقد اخذ بكل بساطة،النظام الفارسي في تقسيم الإمبراطورية إلى ولايات(سترابيات)،ووضع في المناصب الحكومية الرئيسة من يعتمد عليهم من المقدونيين واليونانيين[1].ولا نمتلك معلومات حول إذا ما كان الاسكندر قد عمل على إجراء بعض الإصلاحات على النظام الفارسي القديم،وربما كان ينوي تحقيق مركزية اكبر في إمبراطوريته عن طريق تقطيع أوصال السترابيات القديمة إلى وحدات اصغر يسهل إدارتها،وبذلك يكون قد استبق تطورا طبقه السلوقيون فيما بعد بتقسيم السترابيات إلى ايبارخيات(إقليم أو مقاطعة).ونعرف إن الاسكندر قلل من سلطات الستاربة فسلبهم حق جباية الضرائب وكذلك سك العملة إلا مع استثناءات قليلة في بابل.بينما كان حكام القلاع الرئيسة في أيدي حكام مسئولين مباشرة أمام الاسكندر نفسه.وكان من حق أي فرد من أفراد الرعية يكون قد أصابه ظلم أن يرفع الأمر إلى الاسكندر مباشرة كما هو الحال في مقدونيا.وتشير المصادر إلى وجود طبقة من الموظفين عرفت باسم المشرفون الماليون التابعون للاسكندر وكانوا يؤلفون عنصراً جديداً له وزنه وأهميته.وكانت هذه الوظيفة تشكل حلقة الوصل بين الملك والمزارع.ولكننا لا نعرف شيئا عن العلاقة التي تربط بين هؤلاء المشرفين الماليين وبين الستراب في الولاية،ولا نعرف أيضاً كيف كان حكام الولايات يحصلون على ما يلزمهم من الموارد والأموال الضرورية للصرف على الإعمال الإدارية في ولاياتهم[2].كانت من ابرز أعمال الاسكندر الإدارية يمكن أن نلاحظها في مسألتين هما:سك النقود وتأسيس المدن الجديدة.

بالنسبة للمسألة الأولى نعرف إن الاسكندر المقدوني عمد إلى سك النقود في المناطق المحتلة،وكانت المشكلة التي واجهت الاسكندر تنطوي حول كيفية التوفيق بين العملة العشرية السائدة في فارس على أساس إن الدارك الذهبي يساوي عشرون شاقلا من الفضة،وبين العملة ذات الفئة ألاثني عشرية من عهد فيليب الثاني على أساس إن الاستاتر الذهبي الواحد طبقاً للمعيار الاتيكي يساوي أربعة وعشرين دراخمة فضية بحسب المعيار الفينيقي. لذا قام الاسكندر بتوحيد العملة وجعلها من الفضة واتخذ المعيار الاتيكي أساساً له،وجعل الاستاتر مساوياً لعشرين دراخمة فضية.وقد بقي الاسكندر محافظا على استخدام دور السك الفارسية القائمة باستثناء صور وغزة(ولا نعرف سبب ذلك ولكن ربما يكمن السبب في إن المدينتين قد تعرضتا للتدمير من جراء مقاومتهما للاسكندر)،وكانت دار السك في امفيبوليس(في مقدونيا) الأكثر أهمية في الإمبراطورية تليها مدينة بابل،ثم تجئ بعد ذلك المجموعة الفينيقية(صيدا،بيبلوس،عكا،دمشق)،ثم المجموعة الكيليكية(طرسوس،الإسكندرية القريبة من أيسوس،قبرص)،وهناك دار سك النقود في الإسكندرية في مصر. ولابد وان الإشراف على دور

---

[1]) اندرو روبرت برن،تاريخ اليونان،ترجمة:محمد توفيق حسين،(بغداد:مطبعة التعليم العالي،1989)،ص439.

[2]) و.و. تارن،الاسكندر الأكبر،ترجمة:زكي علي،مراجعة:محمد سليم سالم،(القاهرة:مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،1963)،ص196-200.

السك التابعة كان للموظفين الملكيين.وقد قرر الاسكندر عدم فرض العملة الجديدة على المراكز التجارية الكبرى مثل فينيقيا وكيليكيا وبابل،حيث كان مسموحاً لها بسك العملة القديمة[3].

كانت النقود على الطراز الإغريقي وقد ضرب الاسكندر نقوداً ذهبية ولكن الغالبية منها كانت فضية حيث أصبحت الدراخمة الوحدة القياسية واصدر أيضا تترادراخم أي الأربع دراخمات وعملات صغيرة تمثل أجزاء الدراخمة وسكت أيضاً نقوداً من البرونز أو النحاس.وقد أورث الاسكندر تصميماً خاصاً للنقود حيث فضل نقش رأس اله جانبي متجها إلى اليمين على وجه المسكوكة ووضع صورة لإله كاملة مع كتابة على الظهر[4].

فيما يخص المسألة الثانية فقد عمل الاسكندر على تشييد سلسلة من المدن الجديدة،ولكن كانت معظم المدن التي أنشأها والتي سميت باسمة الإسكندرية إنما أنشأها لهدف عسكري صرف.لقد كانت تلك المدن مستوطنات لجنوده المرتزقة اليونانيين،وكانت تلك المدن تقوم بدور الحاميات العسكرية،وهذا ما يفسر وجود أربع مدن من هذه الاسكندريات في الأقاليم الحدودية الشمالية الشرقية[5].فضلاً عن ذلك فقد كانت هذه المدن تمثل مراكز إشعاع حضارية إغريقية للمناطق المجاورة لها تساعد في الانتشار التدريجي لمفردات الحضارة الإغريقية في الشرق[6].وقد يكون إنشاء بعض هذه المستعمرات لأغراض تجارية لما تتمتع به المنطقة من خصوصية بهذا الشأن كوقوعها مثلاً على طرق تجارية برية أو بحرية رئيسة[7].وتشير المصادر إلى إن المدن التي شيدها الاسكندر بلغت 70 مدينة،ولكن المدن المؤكدة والتي حفظت لنا التسجيلات التاريخية اسماها هي 13-18 مدينة[8].ومن ابرز المدن التي شيدها الاسكندر في الشرق الأدنى كانت الإسكندرية الشهيرة في مصر والإسكندرية على دجلة.

إن دراسة سياسة الاسكندر وإدارته في الشرق الأدنى القديم ذات أهمية كبير لأنها تمثل البدايات الفعلية للسياسة التي سيطورها فيما بعد اليونانيون في الشرق سواء السلوقيون في إيران والعراق وسوريا أو البطالمة في مصر،لذا لابد من تتبع تطور وضع مناطق الشرق الأدنى كل واحدة منها على حدة في عهد الاسكندر الكبير.

نمتلك عدد من الإشارات حول سياسة الاسكندر وإدارته لأسيا الصغرى،ويرى دياكوف وكوفاليف إن الاسكندر عالج وضع المدن المحتلة في أسيا الصغرى وفق ثلاث طرق وهي:

(1) في بعض المدن يقنع بقضيته شرائح الشعب الديمقراطية.

---

3) المصدر نفسه،ص201-203.

4) واثق إسماعيل ألصالحي،"النحت في العصرين السلوقي والفرثي"،بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق،(بغداد:دار الحرية للطباعة،1985)،ج4،ص182-183.

5) برن،تاريخ اليونان،ص439.

6) واثق إسماعيل ألصالحي،"العمارة في العصرين السلوقي والفرثي"،بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق،(بغداد:دار الحرية للطباعة،1985)،ج3،ص188؛ واثق إسماعيل ألصالحي،"المدينة منذ العصر السلوقي حتى ظهور الإسلام"،بحث ضمن موسوعة:حضارة العراق،(بغداد:دار الحرية للطباعة،1985)،ج3،ص350؛ ف.دياكوف وس. كوفاليف،الحضارات القديمة،ترجمة:نسيم واكين اليازجي،(دمشق:منشورات علاء الدين،2006)،ج2،ص397.

7) ألصالحي،المدينة،ص350.

8) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي،تاريخ الشرق القديم:إيران والأناضول،(بغداد:مطبعة جامعة بغداد،بلا.ت)،ص130.

(2) في مدن أخرى يستند إلى الكهنوت.

(3) في حالات يعقد صلات قربى مع بعض الشيوخ والأعيان[9].

يمكن إن نورد أمثلة حول الطريقة التي تعامل بها الاسكندر مع المدن أسيا الصغرى.فأول إجراء اتخذه الاسكندر بعد عبوره الدردنيل ووصوله طروادة حتى قبل الالتحام مع القوات الفارسية في غرانيكوس بان اتخذ عدة خطوات دينية منها انه قدم السكائب إلى أبطال اليونان الذين خلدوا أنفسهم بتلك الحرب. ثم طاف عاريا حول القبر التقليدي الذي يقال انه لاخيل(احد أبطال الاخيين).كما قدم الاسكندر الأضاحي إلى أثينا ربة الموقع وكرس إلى معبدها هناك درعه الذي قيل انه استبدله بدرع يعود إلى احد أبطال اليونان الأقدمين.وضحى إلى بريام مع دعاء لجلب رضاه عما يعمله سلسل نيوبتوليموس ابن أخيل ويقصد به الاسكندر نفسه[10].

يبدو إن هدف الاسكندر من خلال ما قام به هو ربط نفسه مع أسلاف الشعب اليوناني إلى درجة إن ديودورس وبلوتارك وجوستين يذكرون إن حرب الاسكندر كانت لإعادة حرب طروادة ثانية[11].

لكن هل كان ما قام به الاسكندر هو ولعه بأساطير الإغريق لاسيما الإلياذة وإبطالها كما أشير[12] أم هو لغايات سياسية بحتة؟ فلنحاول فهم صورة مقدونيا في التراث اليوناني أولا.فمنطقة مقدونيا كانت عبارة عن سهل يسكنه شعب خليط من سلالات مختلفة كالتراقية والايليرية(الألبانية) ويتكلم لغة تنتمي إلى أسرة اللغات الهندية الأوربية،وإذا أردنا الدقة كانوا يتكلمون بلهجة فضة من لهجات اللغة اليونانية،ولم يكن اليونانيون يفهمونها ولهذا عدوها من لغات البرابرة،ونتيجة لذلك لم تعد مقدونيا بلداً يونانياً في نظر الإغريق،ولو إن التصاق حدودها الجنوبية ببلاد اليونان جعلها بمرور الزمن نصف يونانية.هذا وان الخطيب الأثيني ديموستنيس يصف ملكها فيليب الثاني والد الاسكندر بالمتبربر[13].فإذا كان اليونانيون لا يعدون مقدونيا ذات حضارة يونانية،ويعدوهم برابرة فلماذا حاول الاسكندر ربط نفسه بأسلاف اليونانيين.وهو من غير شك كان يدرك نظرة اليونانيين إلى مقدونيا،فلا شك إن إجراءات الاسكندر لم تكن إلا محاولة سياسية لكسب اليونانيين في أسيا إلى جانبه في حربه ضد الفرس لا أكثر.

يبدو إن سياسة الاسكندر في أسيا الصغرى هدفت إلى مراعاة الأنظمة السياسية التي الفتها المدن اليونانية،فعندما كان الاسكندر في طروادة(ايليوم)(Illium) أعلن إن هذه المدينة صارت حرة وعادت إليها الديمقراطية،وألغيت عنها الضريبة التي كانت تدفعها للفرس،وأعاد تعميرها بما يتناسب مع ماضيها العتيد،وكرس نفسه فيها إلى معبد الربة أثينا بولياس.وقد أعيد بناء المدينة وهي أول مدينة

---

[9]) دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج2،ص394.

[10])الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص387؛طه باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،(بغداد:مطبعة جامعة بغداد،1980)،ص77.

[11]) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص387.

[12]) انظر مسألة تعلق الاسكندر بأبطال الإغريق في:تارن،الاسكندر الأكبر،ص22؛طه باقر،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،(لندن:دار الوراق،2009)،ج1،ص650.

[13]) عبد اللطيف احمد علي،التاريخ اليوناني:العصر الهيلادي،(بيروت:دار النهضة العربية،1976)،ج1،ص121-122؛برن،تاريخ اليونان،ص415.

تبنى على خطط يونانية بمؤسسات يونانية ونشر المدنية اليونانية بين السكان المحليين.وقد تبنى الاسكندر نظام الإدارة الفارسي وعين كالاس ستراب وأمره أن يجمع نفس الضرائب التي كان يتسلمها الفرس.وقد كان الفرس يضطلعون بالحكم في المدن اليونانية بواسطة الطغاة أو الموالين لهم من الحكومات الاوليغارشية،مع إقامة الحاميات بين حين وأخر،على إن الاسكندر اتبع طريقة مغايرة هناك وذلك بتأييد الحكومات الديمقراطية الحرة والاعتماد عليها،وقد أعلن الاسكندر آنذاك انه قد أتى للقضاء على الحكومات الاوليكارشية وأعادت الديمقراطية والسماح لكل مدينة بان تسترد حقها في التمتع بقوانينها الخاصة بها ثم إلغاء الضريبة التي كانت تدفع إلى الفرس،فكان الديمقراطيون في مدينة تلو الأخرى يعملون على قلب الحكومات الموالية للفرس.ففي زيليا مثلاً استولى المواطنون على القلعة وطردوا الطاغية المعين من قبل الفرس[(14)].وقد احتل الاسكندر بنفسه افيسوس وارجع المنفيين إليها وصارت الحكومة فيها ديمقراطية وأعيد بناء معبد ارتميس(دايانا) فيها،ونعرف إن الاسكندر عمر مدينة سميرنا التي هجرها سكانها منذ مدة ليست بالقصيرة.وسمحت بريني لانتيغونس بدخولها وكلف الكيماخوس بالذهاب لتحرير المدن الايولية وعندما وصل الاسكندر إلى ساردیس خرج ميثرينيس قائد قلعة ساردیس لاستقباله مع أهل المدينة بناء على وعد الاسكندر بإرجاع قوانينهم القديمة وسلموا له الكنوز التي حفظوها في القلعة.وأقام الاسكندر اساندر حاكماً على ليديا ولم يسمح له بجمع الضرائب والرسوم التي أسندت إلى نيكياس اليوناني،كما عين بوسنياس المقدوني قائداً لحامية ساردیس،ولكن سمح لأهل ليديا بحق التقاضي أمام المحاكم الوطنية وطبقاً للقوانين الخاصة بهم[(15)].

كانت الخطوة الثانية دخول الاسكندر كاريا حيث رحبت به ادا أرملة ادريوس وشقيقة الحاكم السابق ماوسولوس وكانت قد سلبت السلطة على يد أخيها بيكسوداروس.وقد تبنت الاسكندر وسلمت إليه قلعة الندا وبعد اقتحام الاسكندر لمدينة هاليكارناسوس رد الاسكندر ادا إلى حكم ولايتها[(16)].أما الاسكندر فقد سار بحملة في جبال ليكيا وبيسيديا،مهاجماً القبائل المعتصمة بسفوح التلال في الشتاء عندما تكون الثلوج قد ضيقت الخناق على رجالها في الوديان،وجعلت التحكم فيهم أمرا سهلا،فدخل أول الأمر الميلياد واستسلمت مدن ليكيا ورحبت به فاسيليس في بامفيليا،ومن ثم عين نيارخوس حاكماً على ليكيا وبامفيليا،ثم أقام الاسكندر الحصون والاستحكامات في فاسيليس لحمايتها من الأسطول الفارسي،ثم سار إلى برجي،وهناك تقبل الولاء والخضوع من برجي وأسبندوس وسيدي،ثم توغل في جبال بيسيديا متوجها إلى ترميسوس،وهي القلعة المتحكمة في الممرات بين فاسيليس والميلياد.وقد شق طريقه صوب الشمال متوغلا وسط القبائل،وخرب ساغالاسوس واستولى على بعض الحصون،على انه

---

[14]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص65؛ الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص388.

[15]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص42-46؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص388.

[16]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص48-49؛صلاح رشيد الصالحي،المملكة الحثية:دراسة في التاريخ السياسي لبلاد الأناضول،(بغداد:بلا.مط،2007)،ص555؛وقد البعض وجود امرأتين باسم ادا الأولى ابنة بيكسوداروس وزوجة اورنتوباتيس،وأدا أخرى من كاريا هي التي تبنت الاسكندر.انظر:الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص389.

لـم يخضـع بيسـيديا وان كـان قـد أضـاف النصـف الغربي منها اسـميا إلى الولايـة التابعـة لنيـارخوس.ثم زحـف عـن طريـق بحيرة بلـدور إلى كيلاينـاي وكانـت حاميتها مؤلفة من الكاريين قد قبلت أن تسلم،إذ لم تصـلها الإمدادات،وقـد تـرك الاسـكندر انتيغـونس بوصـفه واليـا علـى فريجيـا وأبقـى معـه 1500 مـن المرتزقة لمراقبة كيلايناي التي استسلمت[17].بعد ذلك تقدم الاسكندر إلى أنقرة(أنكيرا) من غورديوم،وهناك اسـتقبل رسـلا وفـدوا مـن بافلاغونيا،وكانـت آنـذاك مستقلة،وطلبوا منه عدم غزو بلادهم وقدموا إليه بصـفة رسـمية الـولاء والخضـوع،ولما كانـت بغيـة الاسكندر وهدفه لقاء الملك الفارسي داريـوس الـذي تحرك لقتال الاسكندر،فان غزو بافلاغونيا لم يكن يخطر له على بال.فضم تلك البلاد بصفة اسمية إلى كالاس حاكم ولاية فريجيا،بعد ذلك اجتاح الاسكندر كبـدوكيا الجنوبيـة وعـين شخصـا يـدعى سـابيكتاس(Sabiktas) ليكون واليـا عليها،ولعله احـد الأعيان المحليين في المنطقة[18].وبعد معركة أيسوس وهزيمة داريوس دخلت كيليكيا ضمن دولة الاسكندر ونصب عليها الأخير بلاكروس[19].

عمل الاسكندر المقدوني على تنظيم الإدارة في المدن التي سيطر عليها في أسيا الصغرى فمن المعروف إن مدنا في أسيا الصغرى لم يحاول الاسكندر إخضاعها وبقيت تابعة للفرس،تلك المدن التي لم تكن مهمة وعديمة الجدوى بالنسبة للأسطول الفارسي الذي قد يشكل خطرا على تحركات الاسكندر[20].

لقد كان ولاة الفرس،كما وجدهم الاسكندر،يجمعون في أيديهم كل السلطة العسكرية والمدنية،وفي وسعهم سك العملة.لذا عمل الاسكندر على الفصل بين السلطات الثلاثة:المدنية والحربية والمالية،ولكنه لم يبق في أسيا الصغرى على سلطات مدنية منفصلة.وكان اغلب حكام الأقاليم أصلهم من القادة المقدونيين تسندهم جيوشهم،ولكنه استحدث تجديدا عظيما بحرمانهم من الإشراف على المالية وإقامة مشرفين ماليين مستقلين،وربما احتفظ بالتقسيم الفارسي العسكري للولايات المسمى بالقيادات،وانتفع به على اعتبار انه وحدات مالية إقليمية صغرى،تحت إشراف موظفين تابعين له ومسئولين أمام المشرفين الماليين عن الولاية(الستراببية).وبذلك شهدت أسيا الصغرى سلطة مزدوجة في كل ستراببية،ولو احتفظ الاسكندر لنفسه بحق سك العملة.وقد حتم الاسكندر على المراقبين الماليين جمع الضرائب مباشرة من الفلاحين وإيداع المتحصل منها في الخزانة.ولا نعرف الكثير عن أراضي الملك،وربما كانت أراضي الملك الوحيدة التي كانت لا تزال يديرها مباشرة موظفو الاسكندر،تقع في نطاق الولايات المطلة على الشاطئ صوب الغرب والجنوب؛أما كبار ملاكي الأرض في الهضبة الوسطى من أسيا الصغرى فقد أبقوا بصفة مؤقتة على حالهم،محتفظين بوضعهم القائم كما هو في العصر السابق،فيما عدا إن الاسكندر كان يعد نفسه المالك الأعلى للضياع وصاحب الحق فيما هو مقرر عليها من ضرائب،باعتباره السيد الأعلى للبلاد.وقد تم تعيين فيلوكسينوس مشرفا على الضرائب في جميع أرجاء أسيا الصغرى شمال طوروس.ولعله كان صاحب الهيمنة على جميع المشرفين في

[17]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص49-51.

[18]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص54؛ الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص389-390.

[19]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص60.

[20]) حول هذه المدن انظر:المصدر نفسه،ص70-71.

الولايات،ومن اختصاصه عمل التنسيق بين جهودهم[21].

واجه الاسكندر مشكلة كبيرة في أسيا الصغرى من جراء إعادة النظم الديمقراطية للمدن هناك،فبعد إعادة الأنظمة الديمقراطية في كل مدينة كان يتبعه استدعاء العناصر الديمقراطية من المنفى(كما حدث في افيسوس)،فان أولئك الديمقراطيين سرعان ما يقوموا بتصفية خصومهم السياسيين،كما حدث في مدينة ميتيلني،فما إن استرد الديمقراطيين سلطتهم في المدينة حتى بدءوا يعملون الذبح والتقتيل في خصوهم السياسيين،لذا انبرى الاسكندر بالتدخل على الفور من اجل إنهاء المسألة،وفي افيسوس بعد أن قام الديمقراطيون بقتل الطاغية وابنه هناك عاقبهم الاسكندر برفضه إلغاء الضريبة عنهم.وفي خيوس التي أنظمت إلى ممنون،ثم تمكن الشعب من التخلص من العناصر الفارسية،صدر قرار الاسكندر بإعادة المنفيين وإقامة الحكومة الديمقراطية،ثم أمر بتأليف لجنة مراجعة القوانين،على أن تعرض النتيجة على الاسكندر،وأقام حامية في المدينة إلى أن:"يسوي أهل خيوس ما بينهم من خلافات ويسود السلام بينهم".ثم اصدر في الحال بإطلاق سراح المسجونين،ممن كانوا موالين للفرس في نظير دفع ما عليهم من غرامة،وقرر انه لا يجوز في المستقبل اتهام احد على أساس ما كان يبدو عليه في الماضي من ميول فارسية،وذلك فيما عدا حالتين اثنتين استثناهما وهما حالة الطغاة والخونة.وعلى ذلك أمر بان أولئك الذين خانوا بالفعل خيوس وسلموها إلى ممنون وفروا،لابد من اعتبارهم خارجين عن القانون في أي مدينة يحلون فيها،وفي حالة القبض عليهم لابد من محاكمتهم،بينما جرى تسليم جميع الطغاة الذين كانوا قد وقعوا في يد الاسكندر في المدن التابعين لها لكي يقدموا للمحاكمة[22].

لا نعرف الكثير من إجراءات الاسكندر في سوريا وفلسطين،ونعرف إن الاسكندر اقر الأوضاع في سوريا بتعيين ستراب مقدوني عليها يعاونه مشرف مالي.هذا وقد أرسل مينيس احد رجال حرسه الخاص إلى فينيقيا ليتولى القيادة ويقوم بالإشراف على المواصلات البحرية بين فينيقيا وأوربا،وفي فلسطين أسس الاسكندر في يافا دائرة لضرب النقود وأمر بتبديل اسم المدينة من يافو(Yapho) إلى جوبا(Joppa) من غير أن نعرف السبب[23].

في مصر نعرف إن الاسكندر قد أبقى الإدارة بيد أهلها بالدرجة الأولى،ما عدا قيادة الحامية التي أودعها إلى قادته[24].ويبدو إن الاسكندر حاول إرضاء المصريين وكسب ودهم وإبراز حكمه بطريقة شرعية على الطريقة المصرية لذا نجده يقدم القرابين للآلهة المصرية وعندما وصل إلى منفيس قدم القرابين للعجل المقدس أبيس،ومن ثم سافر عبر الصحراء إلى واحة سيوه وكان خط سيره عن طريق الساحل الشمالي إلى بريتونيوم (Paraetonium)(مرسى مطروح الحالية) حيث استقبل كما يقال وفدا من إغريق برقة،ثم توجه جنوبا إلى سيوه.لكي يصلي في

---

[21]) المصدر نفسه،ص63-64.

[22]) المصدر نفسه،ص67-68.

[23]) فلافيوس اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ترجمة:فؤاد جميل،(لندن:دار الوراق،2006)ص43؛تارن،الاسكندر الأكبر،ص84،94؛سامي سعيد الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،(بغداد:مركز الدراسات الفلسطينية،1979)،ص287.

[24]) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،(بغداد:شركة التجارة والطباعة المحدودة،1956)،،ج2،ص444.

محراب زيوس أمون وهنا أعلنه الكاهن ابنا للإله أمون وإنباءه بأنه سيحكم العالم ،وتلقى إجابات عن تساؤلاته من أمون،ونحن لا نعرف ما حدث بين الاسكندر ووحي الإله أمون ولكن لابد من إن الاسكندر قد سأل عما يشغل باله وهي حملته ومصير جهوده،ولابد إن الرد كان منبئا بتحقيق آمال الاسكندر وسيادته على العالم،أما الاسكندر نفسه فلم يفصح عما حدث داخل قدس الأقداس.وان لقب ابن أمون يعني في الواقع انه الفرعون الشرعي لمصر[25].وقد اهتم المؤرخون قديما وحديثا بتفاصيل رحلة الاسكندر إلى سيوه لغرابة الفكرة ودلالتها،إذ ما حدا بقائد عسكري لم يفرغ بعد من حرب عدوه أن يقوم برحلة لا تخلو من مخاطرة إلى قلب الصحراء الغربية بعيدا عن العمران من اجل زيارة معبد.ويعتقد البعض إن مثل هذه الرحلة مما يتفق وما نعرفه عن شخصية الاسكندر التي غلب عليها التأثر الديني إلى حد التطهر إلى جانب ميل شديد للمخاطرة واكتناه المجهول.فليس مستغربا إذن أن يستهوي سيوه ومعبد أمون الذي ذاع صيته في العالم اليوناني منذ القدم،خيال الاسكندر ليستلهم وحي أمون عن مستقبل آماله لاسيما وان اثنين من أبطال الإغريق هما برسيوس وهرقل قد سلكا هذا السبيل من قبل فيما تروي الأساطير.فالاسكندر بهذا العمل يضيف حلقة إلى تقليد ديني عريق يليق بشخصيته البطولية[26].لا يخلو هذا الرأي من مبالغة بعض الشيء واقتصاره على جانب واحد في التعليل وهو مسألة شخصية الاسكندر المقدوني وحبه للبطولة واقتدائه بأبطال الإغريق،ولكن هناك جانب أخر يمكن أن يكون سببا وجيها لهذا التحرك،فالاسكندر الذي انتزع مصر من القبضة الفارسية كان عليه أن يثبت الحكم المقدوني فيها،ومن اجل تنفيذ هذه السياسة كان لابد من إقناع الشعب المصري بإيمانه الحقيقي بالمعتقدات المصرية،ولا يبدو هذه السياسة غريبة عن الاسكندر ففي كل منطقة من مناطق الشرق القديمة يدخلها الاسكندر منتصرا يقوم باتخاذ خطوات دينية من شأنها إقناع شعب هذه المنطقة أو تلك بأيمانه بمعتقداتها ونشاهد هذه السياسة قد طبقها الاسكندر في أسيا الصغرى عندما ربط نفسه بأبطال الإلياذة،وسنشاهدها أيضا في العراق عندما أعلن عن احترامه للمعتقدات البابلية،إن النظر إلى كل هذه الأمثلة سوية تساعدنا على رسم صورة مغايرة لشخصية الاسكندر،التي غلب على الدراسات وصفها بحبها للبطولة فمهما أحب الإنسان الأبطال والأساطير فانه لا يمكن محاكاتها في الواقع ولابد وان كان الاسكندر مدركا لهذه الحقيقة،فالأحرى أن نصف سلوك الاسكندر هو سلوك سياسي بحت أفضل من سلوك شخصي.فقائد بهذه الإمكانيات العسكرية لا يمكن له أن ينتصر إذا ما تحرك وفق أهواء الشخصية وحسب.

بعد أن أتم الاسكندر الزيارة إلى واحة سيوه عاد بالطريق المباشر عبر الصحراء إلى ممفيس حيث

---

[25]) باقر،مقدمة،ج2،ص444؛تارن،الاسكندر الأكبر،ص80-82؛عامر سليمان واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم،(الموصل:مطبعة جامعة الموصل،1978)،ص218؛ باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص79؛برن،تاريخ اليونان،ص433؛ مصطفى ألعبادي،العصر الهلنستي:مصر،(بيروت:دار النهضة العربية،1988)،ص20؛ فوزي مكاوي،الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني،(القاهرة:المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،1999)،ص16؛دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج2،ص395.

[26]) انظر هذا الرأي في:ألعبادي،العصر الهلنستي،ص20-21.

أقام بعض الوقت،وتفرغ فيه لإعادة نظام الإدارة والحكم في مصر على أسس جديدة تتلخص فيما يلي:قسمت مصر إلى قسمين رئيسين شمالي وجنوبي(أي الوجه البحري والوجه القبلي)،وعهد بإدارة كل قسم إلى موظف مصري،ولكن حين تنحى احدهما وهو بوتيسيس(Potisis) تولى زميله دولاسبيس(Doloaspis) إدارة الوجهين معا.أما الحدود الشرقية والغربية فقد انشأ بهما مقاطعتين جديدتين هما العربية وليبيا وعين على الأولى كليومينيس النقراطيسي(Cleomenes Of Naucratis) وعلى الثانية ابولونيوس ابن خارينوس(Apollonius son of charinus).وفيما يتعلق بالسلطة العسكرية فقد عين قائدين على الحامية العسكرية التي تركها في مصر هما بيوكستس ابن مكارتاتوس(Peucestes Son of Macartatus) وبلاكروس ابن امينتاس(Balacrus son of Amyntes)،كما عين بوليمون ابن ثيرامينس(Polemon son of Theramenes)قائدا للأسطول.هذا إلى جانب قادة آخرين لبعض الوحدات المرابطة في ممفيس وبلوزيوم.أما الإشراف على الخزانة والشؤون المالية فقد عهد به إلى كليومينيس النقراطيسي،وأمره بان يترك حكام المديريات المختلفة يديرون مقاطعاتهم كما كان الأمر من قبل وان يجمع منهم الضرائب المفروضة.وأخيرا عهد إلى كليومينيس أيضا مهمة الإشراف على بناء مدينة الإسكندرية الجديدة[27].إن نظرة سريعة إلى هذا النظام الإداري يكشف لنا نقصا ظاهرا فيه وهو عدم وجود منصب حاكم عام للبلاد،وإنما وزعت السلطة بعناية شديدة بين المشرفين على الإدارة والشؤون العسكرية والشؤون المالية.وقد كان أريان أول من لاحظ هذه الحقيقة وفسرها بان الاسكندر فعل ذلك عامدا ليمنع أي حاكم بمفرده من أن يقوي سلطته ويتمكن من الاستقلال بمصر.ورغم إن احد لم يستقل بمصر أثناء حياة الاسكندر،ولكن ما إن غادر مصر حتى وجدنا المشرف على الشؤون المالية كليومينيس النقراطيسي يظهر فوق كل القادة الآخرين،وبدا كأنه والي مصر الفعلي.ورغم إن أعماله التي أغضبت سائر الإغريق،ولكن يبدو انه ظل حائزا لثقة الاسكندر التامة حتى انه بقي في منصبه طيلة حياة الاسكندر،مما يشير في اقل تقدير إلى إن الاسكندر هو الذي أعطاه هذه المكانة.ومعلوماتنا عن كليومينيس هذا محدودة جدا،فنحن نسمع عنه للمرة الأولى حين عهد إليه الاسكندر بعدة مهام في نظامه لحكم مصر وأهمها الإشراف على الخزانة،ولا نعرف عن تاريخه قبل ذلك.ولكن نستنتج من اسمه انه من إغريق مدينة نقراطيس(وكانت مركزا مهما لإقامة التجار الإغريق في مصر منذ عصر الأسرة السادسة والعشرين الفرعونية)،ولابد انه كان من أعيانها وكبار تجارها،مما يجعله ذا خبرة ودراية بشؤون السوق والحياة الاقتصادية المصرية،الأمر الذي يجب أن يتوفر فيمن يعهد إليه بالإشراف على الخزانة.على إن كليومينيس لم يكن مجرد موظف كفء يتلقى تعليمات الملك لينفذها بإتقان وإنما تاجرا وماليا ممتازا.فقد فقد حاول هذا الرجل من السيطرة على السوق المصرية والأسواق العالمية في البحر المتوسط،وعامل المالية المصرية كما يعامل التاجر الطموح ماليته الخاصة،وتاجر باسم الدولة[28].وبلا شك إن وجود موظف طموح بهذا الشكل هو الذي جعل الاسكندر يحجم عن وضع الصلاحيات بيد رجل واحد لذا نجده يقسم الإدارة بين كبار الموظفين،ولكن كليومينيس لم يكن إداريا طموحا

---

[27]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص82-83؛ألعبادي،العصر الهلنستي،ص21-22.

[28]) ألعبادي،العصر الهلنستي،ص22-23.

فحسب بل انتهازيا اشتهر بالخديعة والحيلة في تحقيق أهدافه،استغل الكثير من الفرص للقضاء على منافسي الدولة من التجار وغيرهم كما سنلاحظ من سياسته.

حاول كليومينيس السعي لإضعاف طبقة الكهنة طريق إضعاف قدرتها المالية وابتزازها لإخضاعها.ونمتلك أمثلة جيدة عن مثل هذه السياسة:فقد كانت محاولته الأولى على فئة منهم في منطقة الفيوم التي كانت تقدس التمساح،فادعى انه أثناء زيارته لها إن ابتلع تمساح احد أتباعه وانه انتقاما من هذه الحادثة سوف يصيد التماسيح هناك ويقضي عليها،وهنا خشي الكهنة على إلههم من الاهانة التي ستلحق به فجمعوا ما استطاعوا من المال وقدموه إلى كليومينيس تعويضا عن خسارته احد أتباعه.بعد ذلك قام بمحاولة ثانية استهدف بها طبقة الكهنة بأسرها،إذ جمع ممثلين من جميع المعابد وأعلن إن المعابد تتكلف الكثير من المال ولذلك يجب إغلاق بعضها.فخاف الكهنة على معابدهم واتفقوا على جمع مبلغ كبير من المال سواء من أملاكهم الخاصة أو من أموال المعابد وقدموها إليه[29].

انتهج كليومينيس سياسة مقصودة لإقامة احتكار لتجارة القمح عن طريق السيطرة على السوق المصرية،بان يصبح هو المصدر الوحيد للقمح المصري.وعن هذا السبيل استطاع التحكم في تجارة القمح العالمية وتحديد أسعاره في الخارج على نحو يحقق الربح الوفير.وقد ابتدأ بفرض سيطرته على سوق القمح المصرية بان قضى على سائر المنافسين الذين كانوا ينحصرون في الكهنة وكبار المزارعين والتجار[30].فقد اتجه كليومينيس نحو طبقة المزارعين اتفق معهم على أن يبيعوا إليه جميع محصولهم من القمح بالسعر الذي يصدرون به.وبذلك احتكر تجارة القمح وأصبح المصدر الوحيد لهذه السلعة في مصر.كذلك عمل كليومينيس على التحكم بالأسواق العالمية،عن طريق شبكة من السماسرة والوكلاء بثهم في موانئ البحر المتوسط الهامة.هؤلاء الوكلاء كانوا يطلعونه عن أسعار القمح في الأسواق المختلفة،وحيثما شح القمح وارتفع سعره استطاع كليومينيس أن ينتهز الفرصة في الحال ويرسل إلى ذلك المكان شحنات من القمح ويبيعها بالسعر الذي يريده هو،حتى قيل انه باع الكيل من القمح في بعض الأزمات بمبلغ 32 دراخمة بينما السعر العادي كان يتراوح بين 5-10 دراخمة فقط.والواقع إن ممارسة الاحتكار لم تكن جديدة في مصر،فقد مارسها الفراعنة من قبل في احتكار السلع للتجارة الداخلية.ولكن محاولة كليومينيس في إنشاء تجارة احتكارية دولية هي الأولى من نوعها.والجديد في محاولته هذه انه مارسها بأساليب تجارية بحتة،وليس مثل أثينا التي استخدمت سيادتها البحرية لاحتكار تجارة البحر الأسود في القرن الخامس قبل الميلاد[31].وهناك تساؤل أخير يجب أن يسأل بشأن نشاط كليومينيس التجاري.وهو هل قام بهذه التجارة لحسابه الشخصي أم باسم الدولة ولصالحها؟ ليس لدينا رد قاطع على هذا السؤال ولكننا نستطيع أن نستشف من مصادرنا إن كليومينيس قام بالتجارة على انه رجل من رجال الدولة.وهناك دليل يؤيد هذا الاستنتاج هو إن بطليموس الأول سوتير تسلم من كليومينيس في خزانة الدولة مبلغ ثمانية الألف طالنت،مما يدل

[29]) المصدر نفسه،ص24.

[30]) المصدر نفسه،ص23-24.

[31]) المصدر نفسه،ص24-25.

على إن أرباح كليومينيس من التجارة كانت تذهب إلى خزينة الدولة[32].

سعى الاسكندر إلى ترسيخ المفاهيم الإغريقية في البلدان المحتلة ليرسي فيها فتوحاته،ففي ممفيس مثلا نظم مباريات رياضية وموسيقية بمشاركة اليونانيين المدعوين لهذه الغاية[33]،ومن ثم خطى أهم خطوة في سياسته في مصر وهي تشييده مدينة الإسكندرية لنفس الهدف،ويذكر أريان وبلوتارك إن الاسكندر أثناء ذهابه إلى معبد أمون في سيوه مر على قرية كانوب(أبو قير الحالية)،وهناك وجد منطقة محصورة بين البحر وبحيرة مريوط تدعى راقودة توقع أن تكون مكانا رائعا لإنشاء مدينة تحمل اسمه.وتوقع للمدينة بسبب مميزات الموقع أن تعيش في تطور وازدهار.وقد أحاطت بنشأة الإسكندرية أساطير أشهرها تلك التي ذكرها أريان حول استخدام الاسكندر للدقيق لرسم حدود أسوارها وتخطيط أحيائها وكيف فسر له العراف اريستاندير (Aristander) ذلك بأنه مؤشر لازدهار المدينة ورخائها[34].لقد عين الاسكندر قبل مغادرته مصر المسئول عن الخزانة كليومينيس مشرفا على بناء المدينة الجديدة وأمر بان تكون الإسكندرية عاصمة مصر.ويبدو إن هدف الاسكندر كان هو إنشاء مركز تجاري يكون سوقا عظيمة ويحل محل صور في البحر المتوسط التي كانت قد دمرت بفعل غزوات الاسكندر.ويبدو إن كليومينيس جعلها فعلا مركزا لنشاطه التجاري.ورغم إن مباني الإسكندرية العظيمة لم توجد إلا بعد إنشاء البطالمة دولتهم،إلا انه ما من شك إن إسكندرية كليومينيس كان لها طابع الميناء التجاري،وإنها في عصره احتلت مكانة نقراطيس كمركز للتبادل التجاري مع اليونان وليس أدل على سرعة نماء الإسكندرية في أعوامها الأولى من انه في 326 قبل الميلاد كان بها دار نشط لسك العملة تصدر عنها عملة الاسكندر في كميات كبيرة[35].

أما في بلاد الرافدين فقد احتلها الاسكندر في أعقاب معركة غاوغاميلا الحاسمة مع الفرس،ولم يلاق الاسكندر في بابل حربا بل إن الحاكم الفارسي مازيوس سلم المدينة إلى الفاتح،وأول عمل قام به انه أعلن لسكان بابل انه خلصهم من اضطهاد البرابرة[36] وقد اتبع الاسكندر سياسة التسامح التي اتبعها في مصر،فأعاد مازيوس إلى منصبه،وأبقى البابليين،مثلما فعل مع المصريين في مراكزهم الوظيفية والإدارية والدينية،ولكن شؤون الجيش والمالية انيطت بالمقدونيين فقد عين أوللودور الاميبولي قائدا للجند،واسكيليبيودور بن فيلو جابيا للضرائب[37].

كان تعيين مازيوس سابقة مهمة لان الاسكندر لأول مرة يعين فيها فارسيا في الإدارة،ولكنه

---

[32]) المصدر نفسه،ص26.

[33]) دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج2،ص395.

[34]) باقر،مقدمة،ج2،ص443-444؛ سليمان الفتيان،محاضرات في التاريخ القديم،ص218؛ ألعبادي،العصر الهلنستي،ص20؛ مكاوي،الشرق الأدنى،ص16؛دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج2،ص395.

[35]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص 79؛ألعبادي،العصر الهلنستي،ص26.

[36]) باقر،مقدمة،ج2،ص445؛تارن،الاسكندر الأكبر،ص93؛باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص80؛باقر،مقدمة،ج1،ص653.

[37]) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص37؛باقر،مقدمة،ج2،ص445؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص129.

لم يخوله سلطات عسكرية ومالية التي بقيت بيد المقدونيين،ومنذ ذلك الحين،كان كلما عين واليا فارسيا،قسم السلطات الثلاث وهي المدنية والعسكرية والمالية،فكان يقصي الفرس دائما عن تولي السلطة العسكرية على انه في أمر واحد فقط كان لمازيوس مركز فريد وهو انه كان الوالي الوحيد الذي سمح له بسك عملة[38].ويبدو إن الاسكندر أراد كسب ود البابليين كما فعل في طروادة ومصر لذا نجده يقدم القرابين للآلهة في معابدها،ويأخذ بيد الإله مردوك[39]ونعرف انه منح لقب ملك الجهات الأربع وملك الجميع[40]،وان مسك يد مردوك واتخاذ الألقاب الملكية يعني إن الاسكندر أصبح الملك الشرعي في بابل.ويشير أريان إلى إن الكهنة البابليون أشاروا على الاسكندر بجميع ما عليه القيام به في المدينة من واجبات دينية وما يخص الطقوس البابلية القديمة،وعلى وجه الخصوص تقديم القرابين إلى بيل(مردوك)[41].ويتحدث المؤرخين أريان وابيانوس انه حينما دخل الاسكندر مدينة بابل أمر البابليين أن يعيدوا بناء كل المعابد التي دمرها احشويرش،ومن بينها جميعا معبد بيلوس(مردوك-بيل في البابلية) الذي يكرمه البابليون أكثر من بقية الآلهة الأخرى،لذا شرع بترميم معبد مردوك ولكنه لم يتمكن لسوء الحظ من تحقيق ما فكر به،فقد تكشفت له ضخامة المهمة التي عقد العزم على انجازها،عندما رأى بعد شهرين من الجهود انه لم يتوصل بمعونة عشرة آلاف جندي إلا إلى إزالة التراب الذي كان يحجب الآثار المتداعية وطبقا لسترابو كان مقدار العمل كبيرا جدا وان إعادة المباني لم تكتمل في حياة الاسكندر[42].وتشير المصادر إن موقف الاسكندر من اليهود في بابل كان يختلف عن ذلك الموقف في فلسطين كما سنرى لاحقا،إذ نقرأ عن إجباره ليهود بابل على الاشتراك في بناء هيكل بيل وعاملهم بقسوة وجلدهم واخذ منهم غرامة مالية إلا إن اليهود تداركوا الأمر واسترضوا الفاتح وصالحوه،ودخل عدد منهم في جيشه وحاربوا مع المقدونيين جنبا إلى جنب[43].ولكن لا نعرف صحة هذه الأخبار لاسيما وان الاسكندر كما رأينا في سياسته لم يضطهد أي صنف من أصناف السكان في الأقاليم المحتلة ولكنه هاجم بقسوة بالغة المدن التي وقفت ضده وساندت الفرس،فهل كان اليهود في بابل مساندين للسلطة الفارسية فهاجمهم الاسكندر بعد دخوله بابل،ولكن نحن لا نعرف أي قوة يهودية اشتركت في القتال مع الفرس،فضلا عن ذلك لم

---

[38]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص93؛باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص80.

[39]) مارغريت روتن،تاريخ بابل،ترجمة:زينة عازار وميشال أبي فاضل،(بيروت:منشورات عويدات،1975)،ص173؛يوسف غنيمة،نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق،(لندن:دار الوراق،2006)،ص84.

[40]) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص129؛دانيال تي.بوتس،حضارة وادي الرافدين:الأسس المادية،ترجمة:كاظم سعد الدين،مراجعة:إسماعيل حجارة،(بغداد:منشورات الهيئة العامة للآثار والتراث،2006)،ص398.

[41]) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص37.

[42]) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص37؛روتن،تاريخ بابل،ص173؛غاغيك سركسيان،"ارض المدينة في بلاد بابل في العهد السلوقي"،بحث ضمن كتاب:العراق القديم،ترجمة:سليم طه التكريتي،(بغداد:دار الحرية للطباعة،1976)،ص481؛سليمان والفتيان،محاضرات في التاريخ القديم،ص218؛ ألصالحي،العمارة،ص188؛ جون اوتس،بابل،ترجمة:سمير عبد الرحيم ألجلبي،(بغداد:منشورات دائرة الآثار والتراث،1990)،ص213؛باقر،مقدمة،ج1،ص653-654.

[43]) غنيمة،نزهة المشتاق،ص84.

يكن اليهود في بابل إلا أقلية ضئيلة لا يمكن أن يعول الفرس على مساعدتها لذا من الأرجح أن نعد هذه الرواية مختلقة لاسيما وإذا ما عرفنا انه لا توجد أي إشارة إلى مجندين يهود في جيش الاسكندر ما عدا هذه الرواية.ونعرف إن الاسكندر حاول إدخال بعض المفاهيم الإغريقية إلى بابل ومنها انه شيد المسرح اليوناني هناك قبل وفاته بسنتين[44].يشير بعض الكتاب الإغريق الذين رافقوا الاسكندر في حملته إلى الشرق إلى إن الاسكندر كان ينوي جعل بابل عاصمته الشرقية[45].ويبقى هنا سؤال لابد منه لدراسة الأوضاع في بابل في عهد الاسكندر المقدوني،وهو يتعلق بمدى وجود جالية إغريقية أو استيطان إغريقي في بابل؟ وبتعبير أدق هل هناك مستوطنين إغريق يمكن أن نقرأ عنهم في بابل؟ فالأدلة الاثارية قد تشير إلى هذا الاقتراح لاسيما وجود مسرح إغريقي في بابل،والذي يعد جزء مهما في بناء المدينة الإغريقية،هذا المسرح الذي لا يشكل أهمية بكل الأحوال بالنسبة للبابليين.وهناك أدلة ربما تشير إلى وجود الاغورا(وهو نواة المدينة الإغريقية)،فهل هذا دليل على استيطان إغريقي في بابل؟ لا نمتلك معلومات كافية عن تواجد استيطاني إغريقي في بلاد بابل خلال عهد الاسكندر وقد جرى الاقتراح بوجوب البحث عن حي إغريقي في منطقة في بابل المعروفة محليا بالحميرة.ولكن ما من تنقيبات جرت لتأكيد ذلك.هذا مع العلم إن البعض فسر منطقة الحميرة على انها بقايا الأنقاض التي رفعت بأمر الاسكندر من حوالي برج بابل[46].وقد كشفت التنقيبات الألمانية الأولى عن مساحة للحرق في هذه المنطقة فسرها على نحو رومانسي كولديفاي بأنها بقايا المنصة التي بناها الاسكندر لحرق جثة صديقه هيفايستون في حين بين شميت إن المنطقة المكشوفة مع علامات الحرق ربما تذكر أكثر بساحة السوق (الاغورا) المنطقة التي دمرتها النيران[47].إن وجود مسرح إغريقي مع منطقة ربما تمثل الاغورا قد تشير إلى وجود مستوطنين إغريق في بابل ربما من جنود الاسكندر الذين أسكنهم في المدن الجديدة في الشرق قد اسكن بعضا منهم في المدن القديمة.ونمتلك إشارات عن تأسيس الاسكندر لدار ضرب النقود في بابل بعد وصوله مباشرة إليها من اجل تأمين رواتب لجنده الذين شكلوا حامية عسكرية هناك[48].

تزودنا المصادر بمعلومات جيدة عن بعض إجراءات الاسكندر في بابل،فقد حفظ كل من أريان وسترابو معلومات تتعلق بتدخل الاسكندر في حقل الإدارة البابلية للجداول والأنهار.وينقل سترابو عن احد قادة الاسكندر ويدعو اريستوبولوس قوله:"إن الاسكندر فتش الجداول ونظمها مع جيش من أتباعه وانه أيضا سد بعض مصباتها وفتح أخرى"[49].فضلا عن ذلك فان سترابو واريان يسجلان إن الفرات قد أصبح صالحا للملاحة،بفضل الاسكندر الذي رفع السدود الاصطناعية التي شيدها الفرس الأخمينيون لمنع الملاحة إلى أعالي نهري دجلة والفرات خشية هجوم خارجي[50].وإن خطوات الاسكندر المباشرة لإصلاح وتجديد جداول الري والبزل في الفرات،هي

44) دروثي مكاي،مدن العراق القديمة،ترجمة:يوسف يعقوب مسكوني،بغداد:مطبعة شفيق،1961)،ص49.
45) ألصالحي،العمارة،ص188؛اوتس،بابل،ص212.
46) باقر،مقدمة،ج1،ص654.
47) اوتس،بابل،ص212؛بوتس،حضارة وادي الرافدين،ص399.
48) بوتس،حضارة وادي الرافدين،ص401.
49) المصدر نفسه،ص52.
50) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص40؛بوتس،حضارة وادي الرافدين،53.

حركة تبدو مدفوعة باهتمامات ملاحية عملية وليس بإحساس من اجل رفاهية ومصلحة النظام الزراعي في بلاد بابل[51].في الحقيقة كان الاسكندر يملك أسطولا من السفن الحربية التي نقلت قطعا بالسفن الكبيرة من فينيقيا إلى بلاد بابل تأهبا لغزو الجزيرة العربية وانه بلا ريب يتطلب أن يكون الفرات وفروعه أسفل بابل في حالة جيدة،وحتى أريان يقول إن الاسكندر حفر مرفأ في بابل يتسع لألف سفينة حربية،وانه أوفد ميغالوس الكلازوميني إلى فينيقية وسوريا ومعه 500 طالنت لتجنيد مجموعة من الجند واستخدام آخرين من ذوي الخبرة في الشؤون البحرية[52].

لا نمتلك معلومات كافية عن مدن بلاد الرافدين في عصر الاسكندر ويشير الأستاذ بوتس إلى انه في عصر سلالة أور الثالثة وبابل الأولى،كانت أور تقوم بالتأكيد بوظيفة بوابة بلاد الرافدين للسفن القادمة من الجنوب.ويبدو إن تلك الوظيفة قد انتقلت إلى اريدو عند وصول الاسكندر.وكانت عمر اريدو نحو 6000 سنة حين دخل الاسكندر بلاد بابل.وقد بين الباحث الألماني فايسباخ منذ زمن طويل إن اريدو كانت مماثلة لمدينة تدعى تيريدون(Teredon) لدى مختلف المؤلفين الكلاسيكيين أمثال سترابو وديونيسوس واميانوس مارسلينيوس،ويريدوتس أو اريدوتس لآريان.وعلى وفق يوسيبيوس نقلا عن ابيدينوس إن نبوخذنصر الثاني(604-562 قبل الميلاد) هو الذي أسس تيريدون ضد غارات العرب،وهو تلميح مهم،فاريدو مذكورة في نصوص بابلية حديثة واجر مختوم بشعار نبوخذنصر وجدت في الزاوية الشمالية الغربية لزقورة اريدو.ونظرا لعراقة اريدو فان ذلك يجب أن ينظر إليه على انه إعادة تأسيس إذا ما كان دليل يوسيبيوس صحيحا.ويقول نيرخوس أمير البحر لدى الاسكندر إن في تيريدون يقوم التجار بجمع البخور من البلدان المجاورة وجميع الافاوية العطرة التي تنتجها البلاد العربية[53].

ومن أعمال الاسكندر المهمة في بلاد الرافدين انه شيد مدينة الإسكندرية على دجلة،إذ يذكر بليني إن الاسكندر أمر ببناء مدينة قرب النقطة التي تلتقي فيها قناة الكارون بنهر دجلة،وقد أنشئت المدينة فوق رابية اصطناعية لحماية الموضع من فيضانات مياه الأنهار القريبة.وقد أراد الاسكندر دون شك أن تكون المدينة الجديدة ميناء تجاريا رئيسا،يستوعب التجارة البحرية الغنية القادمة من الهند ومن شبه جزيرة العرب،فضلا عن ذلك تكون رابطة بين الهند وعاصمته المقبلة في بابل.ولتهيئة عدد كاف من السكان فانه تم إسكان المدينة بالجنود المقدونيين العاجزين من بين جيوشه العائدة من الحروب في الأقاليم الشرقية،كذلك نقل سكان من مدينة دورين(Durine)(التي ما يزال تحديدها غير معروف) القريبة.وقد سكن المقدونيين

---

[51]) بوتس،حضارة وادي الرافدين،ص397.

[52]) اريانوس،أيـام الاسكندر فـي العـراق،ص54-55؛بوتس،حضارة وادي الرافدين،ص397.

[53]) بوتس،حضارة وادي الرافدين،ص408-409.والواقع إن مطابقة تريدون مع اريدو ما زالت غير مؤكدة فالأستاذ الأحمد يرى إن هذه المدينة بمحل ليس ببعيد عن جبل سنام في جنوب العراق وهو موقع قريب من مدينة اريدو.انظر:سامي سعيد الأحمد،"العراق في كتابات اليونان والرومان"،مجلة سومر،م:26،ج:1-2،لسنة:1970،ص135؛في حين يعتقد البعض إنها في أنحاء مدينة الزبير الحالية.انظر:فؤاد جميل،العراق في القرن الرابع الميلادي بحسب وصف المؤرخ الروماني اميانوس مرشيلينوس،(لندن:دار الوراق،2008)،ص15.

في حي من المدينة سمي بيللا(Pella) على اسم المدينة التي ولد فيها الاسكندر[54].

وفي بلاد فارس يشير أريان إن سكان مدينة سوسه قد أعلنوا استسلامهم للاسكندر وأعطوه ما في المدينة من أموال[55] وإن الاسكندر قد عين في مدينة سوسة ستراب فارسي وهو ابولايتس العربي،كما عين مازاروس قائدا لحامية قلعة سوسه،وارخيلاوس قائدا أخر[56]،كما عين ولاة فرس على ميديا وميديا باريتاسيني(Parartacene)،وقد عين بارمينيون في ميديا ومعه فرقة من التراقيين والمرتزقة كقائد موكل بالمحافظة على المواصلات البرية[57].وقد حاول الاسكندر كما فعل في مصر من محاولة إرساء القيم الإغريقية في إيران،ففي سوسة نقرأ عن إقامته سباق الجري بالمشاعل،ومباراة رياضية[58].ولكن كان أهم أجراءته انه أمر بجمع شبان فارس وتدريبهم على يد مدربين من المقدونيين،واتخذهم جندا في جيش الملك الجديد،وقد تعلم 3000 شاب فارسي فن الحرب والعادات واللغة الإغريقية[59].وتشير المصادر إن الاسكندر كان يبغي تنفيذ خطة دمج الشرق بالغرب،عن طريق توحيد العناصر الثلاثة الكبرى في إمبراطوريته وهم المقدونيون واليونانيون والفرس،وليس هناك من دليل على انه ادخل في خطته هذه،أي شعب أو عنصر أخر.ويومئذ احتفل بزواج الشرق والغرب.وفي هذا الاحتفال تزوج الاسكندر من بارسين ابنة داريوس الكبرى،وباريستيس الابنة الصغرى لاوخوس الفارسي،حسب عادات الملوك العظام من الفرس،فضلا عن زواجه سابقا من روكسانا ابنة ملك سوغديانا وقد تزوج عدد كبير من ضباطه سيدات من الأسر الشريفة الفارسية،وقد طلقوهن جميعا تقريبا بعد وفاة الاسكندر.ويقال انه تم في هذا اليوم زواج تسعة آلاف جندي من نساء أسيويات.ويذكر البعض انه تم زواج 80 قائدا من قادته وعشرة آلاف جندي(منهم هيفايستون الذي تزوج ابنة أخرى لداريوس،وكراتيوس الذي تزوج اماسترينة ابنة عم بارسين،وتزوج برديكاس ابنة والي ميديا،كما تزوج بطليموس ويومينيس من ابنتي ارتابازوس:ارتاكاما وارتونيس...الخ).واغلب الظن إن هذا الزواج هو الإعلان الشكلي والتثبيت الرسمي لارتباطات زوجية كانت قد تمت من قبل.وقام الكهنة من رجال الدين المجوس واليونانيين بالصلوات

---

[54]) شيلدن آرثر نودلمان،"ميسان:دراسة تاريخية أولية"،ترجمة:فؤاد جميل،مجلة الأستاذ،م12،لسنة:1963-1964،ص435؛جون هانسمان،الجغرافية التاريخية لمنطقة رأس الخليج العربي،ترجمة:عادل عبد الله خطاب،(البصرة:مركز دراسات الخليج العربي،1980)،السلسلة الخاصة،العدد:42،ص1-2؛سامي سعيد الأحمد،تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي،(البصرة منشورات دراسات الخليج العربي،1985)،ص332؛بوتس،حضارة وادي الرافدين،ص409.

[55]) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص41-42.

[56]) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص42-43؛تارن،الاسكندر الأكبر،ص94.

[57]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص99.

[58]) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص42.

[59]) باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص81؛برن،تاريخ اليونان،ص434؛دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج2،ص397.

والدعاء بان تتحقق وحدة من الشعوب والملل والأجناس في ظل الإمبراطورية[60].

2.موقف سكان الشرق الأدنى من احتلال الاسكندر المقدوني.

إن محاولة فهم موقف مناطق الشرق الأدنى من الاسكندر المقدوني واحتلاله لأراضيها مسألة مهمة وقد اختلفت هذه المواقف في كل منطقة عن الأخرى فبعض مناطق الشرق القديم قد رحبت بالاسكندر على انه محررها،والأخرى رفضت خضوعها له وقاومته بشدة،ونجد هاتين الصورتين في وقت مبكرة من تاريخ حملة الاسكندر على الشرق.إذ نعرف إن عدد من المدن اليونانية في أسيا الصغرى قد استقبلت الاسكندر بالترحاب الكبير على انه محررهم من السيطرة الفارسية[61]فمثلا نعرف إن الاسكندر عندما وصل إلى إقليم ليكيا لم يجابه بعداء من قبل الليكيين ومن المحتمل انه تم الترحيب به وفتحت اكسناثوس أبوابها طواعية،كذلك باقي المدن الليكية وذكر المؤرخ اناباسيس الاسكندري إن الليكيين قدموا (10) سفن شاركت أسطول الاسكندر الذي تحشد قبالة الساحل الصوري،كما قدم الليكيين وحدات من مقاتلي الفرسان اندمجت مع قوة الاسكندر شأنها شأن القوات الليدية والسورية[62]،ولكن لم يكن الاسكندر رحيما بالمدن التي عارضت احتلاله ونحن نمتلك أمثلة كثيرة عن مثل هذه المدن فعندما عبر الاسكندر مضيق الدردنيل(الهلسبونت)(Hellespont) عام 334 قبل الميلاد اعترضت مدينة لامبساكوس(Lampsacus) تقدمه ولكنه أخطرها بالتخريب،وقد اقنع الاسكندر بالعدول عن تخريب المدينة وفد تراسه المؤرخ انـاكزيمينيس(Anaximenes)[63]ونعرف إن هيغسيسترا حاكم ميكال سلم المدينة إلى المقدونيين لكن ما إن وصلها الأسطول الفارسي حتى تراجع عن موقفه وصمم على مواصلة القتال،في وقت أعلن به السكان المحليون الحياد،لكن الاسكندر مع ذلك ضرب المدينة التي دافع عنها المرتزقة اليونانيون حتى الموت.كما رفضت مليتوس الاستسلام وبعد مقاومة هدمت خلالها المدينة وأعلنت استسلامها[64].ونعرف إن مدينة هاليكارناسوس عارضت الاسكندر وكان ممنون وهو قائد المرتزقة الإغريقي في جيش الفرس بنفسه يتولى قيادة حاميتها ومعه اورنتوباتيس حاكم كاريا،الذي خلف بيكسوداروس ومعهم بعض المنفيين من المقدونيين.وقد فرض الاسكندر الحصار على المدينة وقد أبلى المحاصرون بلاء حسنا في القتال وتمكنوا من مهاجمة أدوات الحصار الخاصة بالاسكندر مشعلين في بعضها النيران،وقتلوا احد حراس الاسكندر واسمه بطليموس،كما قتلوا غيره من الضباط.ولما أصبحت المدينة في أخر الأمر لا سبيل للدفاع عنها احرقوا ما لديهم من ذخيرة ومستودعات ولاذوا بالفرار،وقد ووكل الاسكندر إلى شخص يدعى بطليموس أيضا ومعه 3200 من المرتزقة،أمره بإخضاع كاريا حيث كان اورنتوباتيس لا يزال معتصما في قلعة سالاماكيس.وقد استطاع الأخير بفضل المساعدة التي لقيها في اغلب الظن من اغيس ملك إسبارطة،أن يصمد،ولكنه في النهاية هزم

[60] باقر،مقدمة،ج2،ص446؛برن،تاريخ اليونان،ص438؛مكاوي،الشرق الأدنى،ص22؛دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج2،ص397.

[61] الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص127؛ف.دياكوف وس. كوفاليف،الحضارات القديمة،،ج2،ص394.

[62] ألصالحي،المملكة الحثية،ص565.

[63]الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص387.

[64] الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص389.

على يد بطليموس واساندر،على إن إتمام إخضاع كاريا لم يتحقق إلا في عام 332 قبل الميلاد[65].

في سوريا يبدو إن موقف السكان هناك اختلف بين قابلٍ للسيطرة المقدونية أو رافض لها فالمعروف إن أولى المدن التي أعلنت رفضها لسيطرة الاسكندر المقدوني كانت مدينة صور الفينيقية،التي حاصرها الاسكندر عام 332 قبل الميلاد ،في وقت أعلنت مدينة صيدا ومدنا فينيقية أخرى مثل أرواد وبيبلوس الاستسلام للاسكندر وعندما بلغت أخبار استسلام هذه المدن بحر ايجة هربت سفنها التي كانت في خدمة الفرس وعادت إلى أوطانها.وتشير المصادر إن الاسكندر عندما وصل إلى فينيقيا قابل وفدا من صور،عارضين عليه الخضوع والاستسلام بصورة عامة،ولكن الاسكندر لم يكن واثقا كل الثقة بهذا الإعلان لذا طلب السماح له بدخول المدينة لتقديم القرابين والتضحيات لجده الأعلى هرقل (كان هرقل يوازي ميلكارت عند اليونانيين).فكان ردهم على طلب الاسكندر إنهم لن يسمحوا باستقبال احد من الأغراب في المدينة سواء أكان من الفرس أم من المقدونيين.على أنهم أشاروا بوجود حرم مشهور لميلكارت في صور القديمة على البر الأصلي،وفيه قد يجد الاسكندر ضالته المنشودة مما يفي بمطالب ورعه[66].لا يمكن تصديق هذه الرواية كحقيقة تاريخية وذلك لعدة أسباب منها إن المدن التي أعلنت خضوعها للاسكندر ومنها المدن الفينيقية لم يحاول الأخير أن يبرهن عن صدقهم بل تقبل خضوعهم فقط،فضلا عن ذلك إذا كانت صور قد أعلنت استسلامها فلماذا تمتنع عن دخول الاسكندر إليها،هذا نحن إذا صدقنا الرواية كما هي فإنها تخبرنا بوجود مزار لميلكارت في البر خارج صور أو صور القديمة كان يمكن للاسكندر أن يذهب إلى هناك لتقديم قرابينه،لذا فالأرجح إن الرواية مختلقة أرادت أن تعطي السبب الذي من وراءه رفض صور احتلال الاسكندر لها.وقد تمكن الاسكندر بمساعدة المدن الفينيقية وسفنها الحربية من اقتحام مدينة صور عنوة،بعد حصار دام سبعة أشهر وكانت صور تتوقع المساعدة من قرطاجة حيث بعثت بشيوخها وأطفالها ونسائها إلى هناك ليبقى الرجال يقاومون الاسكندر ولكن أملها خاب وخضعت هذه المدينة - بعد إن قتل من الصوريين 8000 من محاربيهم للاسكندر- فدمرها الأخير واعدم 2000 من سكانها وباع ما يقدر بثلاثين ألفا نهم عبيدا واحتفل القائد المقدوني بنصره بإقامة الألعاب والشعائر الدينية وتقديم الذبائح في معبد ميلكارت[67].

وفي فلسطين لم يليق فيها مقاومة إلا من مدينة غزة التي قاومت لمدة شهرين وقيل ثلاثة أو خمسة أشهر،ودافع عن غزة قائد أطلق عليه اريانوس اسم باتيس (ربما باطش) على رأس جيوش عربية أذاقت الاسكندر الأمرين،وكاد باتيس وقواته ينتصرون لولا وصول التعزيزات لجيش الاسكندر وأصيب الاسكندر نفسه بجراح.وان فتك الاسكندر بأهالي غزة يصور مدى غضبه من مقاومتهم الشديدة له،فقد أبيدت الحامية واقتيد قائدها وذبح على أسوار المدينة وبيع سكانها عبيدا،واستولى الاسكندر على مخازن ضخمة من التوابل لان المدينة كانت

---

[65]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص48-49؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص389.

[66]) انظر هذه الرواية في:تارن،الاسكندر الأكبر،ص73-74.

[67]) باقر،مقدمة،ج2،ص311؛سليمان والفتيان،محاضرات في التاريخ القديم ،ص376-377؛برن،تاريخ اليونان،ص433؛مكاوي،الشرق الأدنى،ص16.

المستودع الرئيس لمنتجات الجزيرة العربية[68].لا نعرف موقف الجالية اليهودية في فلسطين من تقدم الاسكندر المقدوني ويخبرنا المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيفوس (37-100م) بان الاسكندر خلال حصاره لصور طلب من سمعان الكاهن الأعلى للجالية اليهودية في القدس إرسال جيوش له،ولكن الأخير رفض على أساس ارتباطه بالملك الفارسي،ولا نعرف صحة هذا الخبر،ولاسيما وأننا نعرف انه لم تكن من إجراءات الاسكندر طلب من سكان المناطق التي يحتلها الانخراط في صفوف جيشه،أو حتى التطوع في القوات التي كان يبقيها للمحافظة على الأمن الداخلي.فلماذا يسأل الاسكندر الجالية اليهودية القليلة العدد بالذات بتقديم متطوعين لجيشه؟ يرى الأستاذ سامي سعيد الأحمد إذا كان هذا الخبر صحيحا فربما يكمن سره في معرفته احتمال تسليح الفرس لإفراد هذه الجالية واعتمادهم عليهم في حفظ الأمن في البلاد ضد أية حركة قد تصدر من الأكثرية وبدو الصحراء القريبين لاسيما والقدس ذات موقع إستراتيجي هام[69].ولكن لا يمكن قبول هذه الرواية وربما ساقها جوزيفوس للتدليل على أهمية هذه الجالية في فلسطين وقوتها.ويستمر جوزيفوس بالقول ما إن أنهى الاسكندر احتلاله لصور وغزة حتى رأى الكاهن الأعلى للجالية اليهودية حلما دعاه إلى الاستسلام للقائد المقدوني.فإذا كان الكاهن الأعلى للجالية اليهودية باتفاق مع داريوس الثالث الملك الفارسي فلماذا لم يساعد الأخير وهو في فترة كان فيها بأمس الحاجة للمساعدة إن كان حقا يقدر الالتزامات ويحترم العهود؟ والواقع إن الكاهن الأعلى إذا أخذنا كلام جوزيفوس مأخذ الحقيقة لم يتقدم لمساعدة سيده الملك الفارسي،بل انتظر ما تتمخض عنه هجمات الاسكندر على صور ثم غزة اللتين كانتا أقوى المدن في سوريا وفلسطين،فلما انتصرت الجيوش المقدونية ودخلت المدينتين المذكورتين تذرع الكاهن بحجة الحلم[70].ولكن يمكن النظر إلى رواية جوزيفوس على إنها محض اختلاق فالجالية اليهودية القليلة العدد لا يمكن إن يعول عليها كل من داريوس الثالث أو الاسكندر المقدوني،لاسيما وان مقاومة غزة للاسكندر يعد حدثا هاما للفرس،وإن الفرس إن أرادوا أن يعتمدوا على احد في فلسطين فيجب أن يكونوا السكان الأكثرية من كنعانيين وعرب،لاسيما وان مقاومة غزة قد قادها العرب،هذا من جهة،ومن جهة أخرى لم تكن الجالية اليهودية قوية كفاية لكي يطلب الاسكندر منها المساعدة لاسيما أثناء حصار صور وهي المدينة القوية التي طالما استعصى فتحها على أقوى الجيوش فلماذا يحتاج الاسكندر مساعدة الجالية اليهودية؛وان قصة الحلم الذي جاء مبررا لرئيس الجالية اليهودية تؤيد الاستنتاج،لذا يمكن أن نتصور الأمر إن الاسكندر لم يراسل أصلا الجالية اليهودية،وعندما اقترب من القدس عمل هؤلاء على كسب وده كما فعلوا في السابق مع الفرس،وان هدف جوزيفوس هو محاولة الدفاع عن بني جلدته وإظهارهم بمظهر القوي.

على أية حال فان القدس قد استسلمت للاسكندر،دون مقاومة تذكر بل رحبت به الجالية اليهودية ترحيبا منقطع النظير،ويظهر إن الاسكندر قد سمح لهذه الجالية في القدس أن تعيش وفق قوانينها الدينية وعاداتها الخاصة وعفا أفرادها من

[68]) سليمان والفتيان،محاضرات في التاريخ القديم ،ص377؛ برن،تاريخ اليونان،ص433؛سامي سعيد الأحمد،فلسطين حتى التحرير العربي،(بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة،1988)،ص60.

[69]) الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،،ص286.

[70]) المصدر نفسه،ص286-287.

الضرائب لتلك السنة(332 قبل الميلاد) حتى قيل انه صلى في المعبد[71] ويذكر جوزيفوس في رواية أخرى إن يهود القدس طلبوا من الاسكندر أن يسمح لليهود في بلاد بابل وميديا أن يعيشوا حسب شرائعهم،إلا انه لم يذكر احد من كتبة سيرة الاسكندر هذه المسألة ولهذا ارتأى الأستاذ هويلر إن القصة موضوعة وضعها اليهود المتهلنين أي الذين اقتبسوا العادات اليونانية في القرن الأول الميلادي،لكي يثبتوا إن علاقة اليهود قديمة باليونانيين من عهد الاسكندر[72].

ونقرأ عن وفد من السامريين قابل الاسكندر ودعاه إلى زيارة مدينة شخم واخبروه بأنهم ليسوا بيهود بل صيدونيين[73]! ولا نعرف السر في ذلك ولكن من غير شك أرادوا تمييز أنفسهم عن اليهود فكما هو معروف إن يهود السامرة يختلفون عن اليهود في كثير من الجوانب حتى في بعض المعتقدات الدينية.ولكن فيما بعد نقرأ إن أهالي السامرة قد قاموا بثورة عارمة احرقوا خلالها الحاكم اندروماخوس حيا لا نعرف أسبابها وتفاصيلها كانت نتيجتها إن قام برديكاس بإجلاء سكان المدينة وإسكان مقدونيين بدلا عنهم[74].

وتشير المصادر إن الاسكندر قوبل بالترحاب من قبل المصريين الذين اخذوا يرون بالاسكندر الأخذ بالثأر لهم من الفرس وربما يكمن السبب في أن السنوات الأخيرة للحكم الفارسي في مصر قد تميزت بالقسوة والاضطهاد واهانة المصريين في ديانتهم ومعتقداتهم[75].لا نعرف صحة هذه الرواية ورغم إننا لا نمتلك ما يشير إلى عكسها إلا إن قسوة الحكم الفارسي في مصر ليس كافيا ليجعل المصريين يرون بالاسكندر على انه محررهم،وحتى ولو افترضنا صحة الرواية فلابد وان المصريين قد تغيرت فكرتهم عن الاسكندر وفتوحاته بعد السياسة التي نفذها المشرف على الخزانة كليومينيس النقراطيسي،وهو الموظف الذي اشتهر بابتزازه للمعابد المصرية ومحاولته اهانة مقدسات المصريين.

في بابل يتحدث كل من كونتوس كوريتوس واريان إن الاسكندر عندما دخلها استقبله ورجاله الناس الذين تدفقوا فارشين الشوارع بالزهور حتى كانت فرق من الكهنة تنشد ويمكن أن نقرأ وصف أريان لدخول الاسكندر إلى بابل:"خرج البابليون إلى استقباله على بكرة أبيهم،وكان في مقدمتهم الكهنة والحكام،وكل يحمل هدية ويعرض استسلام مدينة أو قلع،ويقدم ماله"[76].ويعلق بوتس على ذلك بان هذا كله أوبرا وليس تاريخا[77].يرفض البعض هذه الصورة على أساس إن السياسية الفارسية القاسية تجاه بابل ليست كما تصور، فالمعروف إن داريوس واحشويرش،قد دمرا معابد بابل في أثناء الانتفاضات البابلية الفاشلة.لذلك فان الاسكندر عد محررا

---

[71] الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،ص287؛الأحمد،فلسطين،ص60.

[72] غنيمة،نزهة المشتاق،ص84.

[73] الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،ص287.

[74] الأحمد،تاريخ فلسطين القديم،ص287؛الأحمد،فلسطين،ص60.

[75] سليمان والفتيان،محاضرات في التاريخ القديم،ص218؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص128؛باقر وآخرون،تاريخ إيران القديم،ص79؛دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج2،ص395.

[76] اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص36.

[77] بوتس،حضارة وادي الرافدين،ص397-398.وقد أيد بعض المؤرخين الكتاب الإغريق في مسألة استقبال البابليين للاسكندر.انظر:الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص129؛ألصالحي،العمارة،ص188؛ اوتس،بابل،ص212.

لبابل،ولكن هذه الصورة لا يمكن قبولها فثراث احشويرش في تدمير المعابد البابلية قد كشفه م.كورت وس.شيرون-وايت بأنه ابتداع متأخر من غير أساس[78].وكان الأستاذ جورج رو قد نبه منذ وقت طويل إلى هذه الحقيقة إذ يقول إذا كان هيرودوتس قد قام فعلا بزيارة بابل بعد ثورتها الأخيرة على احشويرش،بعشرين عاما فان وصفه يسمح لنا بالاستنتاج بأنها قد عانت أذى قليلا بدرجة ما.وفي الحقيقة فان هيرودوتس يكتفي بذكر إن احشويرش قد سلب من ايساك-ايلا(معبد الإله مردوك في بابل) التمثال الكبير للإله مردوك المصنوع من الذهب.غير إن كتابات المؤرخين مثل أريان وكيتسياس وسترابو توحي لنا بان أسوار المدينة قد أزيلت وان المعابد قد سويت بالأرض،ولما كان اسم ايساك-ايلا والمعابد الأخرى يتكرر وروده في نصوص متأخرة،لذلك فمن المحتمل أن تكون تلك المعابد قد خربت جزئيا وتهدمت في القرون اللاحقة بسبب تركها دون صيانة[79]. فإذا كانت الرواية القائلة بتدمير بابل من قبل احشويرش محض اختلاق فلماذا عُد الاسكندر محررا؟ لا يمكن قبول فكرة استقبال البابليين للاسكندر على انه محرر،وان الروايات التي حيكت حول استقبال الاسكندر من قبل البابليين كما نقلها مؤرخو الاسكندر لا يمكن قبولها كمسلم تاريخي.فالأستاذ كورت قد عرض بوضوح إن أوج الاستقبال الحافل للبطل الفاتح،بمناسبة دخول الاسكندر بابل،يشابه تماما الترحيب الذي تلقى به مواطنو بابل سرجون الأشوري عام 710 قبل الميلاد،ثم كورش الكبير في 539 قبل الميلاد،بصرف النظر عن تدفق الحماسة العفوي فان مثل هذه المناسبة الاحتفالية التي نظمها تنظيما جيدا كلا الطرفين بعد الأمر الواقع بالنصر العسكري الكبير وهرب أو اسر أو استسلام المدحور،تمثل نتيجة نهائية لمفاوضات معقدة فرضتها على المواطنين ظروف غير مرغوب فيها،وكما لاحظ ب.بريانت انه بغض النظر عن التدهور نتيجة الضرائب الباهظة التي فرضها الملك الاخميني فان بلاد بابل مرت بفترة من الهدوء والرخاء،وهذا يجعل المرء يفهم على النقيض من الفرضية المستقاة مباشرة من مادحي الاسكندر وان الصفوة البابلية المثقفة لم تعد الانتقال من الهيمنة الفارسية إلى الهيمنة المقدونية تقدما[80].ومن ذلك نخلص انه بشكل عام فان فكرة استقبال البابليين للاسكندر بهذه الطريقة الموصوفة في الأدبيات الإغريقية التي كتبت حول سيرة الاسكندر لا يمكن عدها ذات أسس تاريخية،فمؤرخو الاسكندر لابد وان أضافوا الكثير من الخيال الخلاق عند تدوينهم سيرة ذلك القائد المقدوني الذي تمكن في غضون أربعة أعوام فقط من إسقاط واحدة من أقوى الدول في العالم القديم والد أعداء بلاد اليونان.من جانب أخر نمتلك رواية لدى اريانوس ذا مغزى خاص يمكن أن تقدم لنا إضاءة حول قضية ترحيب البابليين بالاسكندر كمحرر تقول الرواية:"عندما كان الاسكندر وجيشه يعبران دجلة متجهين إلى بابل استقبله الفلاسفة الكلدان(الكهنة البابليين) وانحوا به جانبا،بعيدا عن (الأصحاب)،ورجوه أن يتوقف عن زحفه على

[78]) بوتس،حضارة وادي الرافدين،ص398:دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج2،ص395.

[79]) جورج رو،العراق القديم،ترجمة:حسين علوان حسين،(بغداد:دار الحرية للطباعة،1984)،ص548:وحول رواية هيرودوتس الخاصة بسلب تمثال الرب مردوك انظر،هيرودوتس،1 :183.في:هيرودوت،تاريخ هيرودوت،ترجمة:عبد الإله الملاح،(أبو ظبي:هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث،2007).

[80]) بوتس،حضارة وادي الرافدين،ص398.

المدينة.لقد اعلموه إن الإله بيل أوحى إليهم إن دخوله بابل في ذلك الوقت بعينه ليس في صالحه"[81].هل كانت هذه نبوءة عرافية أم رغبة بابلية بعدم دخول الاسكندر بابل،صحيح إن الاسكندر دخل بابل من غير حرب،ولكن يبدو إن السكان لم يكونوا راغبين في استبدال حكم فارسي بأخر مقدوني،ويمكن أن نصل إلى هذه القناعة إذا ما تابعنا رواية أريان التي تتحدث عن رد فعل الاسكندر على هذه العرافة:"خامر الاسكندر شك في نصيحة الكلدان،وجال في خاطره إنهم يحاولون صده عن زحفه على بابل لأنهم ينظرون إلى مصلحتهم الخاصة لا النزول على ما جاء في النبوءة"[82].ويحاول أريان أن يعطي تفسيرا لذلك ويقول إن الكهنة البابليين لم يكونوا يريدون أن يقوم الاسكندر بترميم معبد مردوك لأنهم كانوا يستحوذون على كل الذهب الموقوف للمعبد فإذا ما قام الاسكندر بترميم المعبد فان كل هذا الذهب سيعود إلى المعبد ما إن يكتمل[83].يبدو إن هذا التعليل غير منطقي فالكهنة وان كانوا يستحوذون على الذهب المفترض أن يكون عائدا لمعبد مردوك فانه بعد بناء هذا المعبد سيبقون هم القوة المسيطرة الوحيدة على واردات المعبد فإدارة المعبد كما هو معروف في بلاد الرافدين بيد الكهنة وليس هناك من إشارة إلى إن الاسكندر حاول التدخل في شؤون المعابد في المناطق المحتلة،باستثناء الإشارة الخاصة بالنسبة إلى كليومينيس،وابتزازه المعابد المصرية،وهذا أمر طبقه احد إداري الاسكندر بعد مغادرته المدينة وليس بأمر منه.فإذا كان السبب الذي أعطاه أريان واه فلماذا حذر الكهنة البابليون الاسكندر من دخول بابل،بلا شك إن الهدف من ذلك سياسي فالبابليون رافضون لاحتلال الاسكندر ولكنهم غير قادرين على مقاومة الاسكندر وجيشه لذا لجئوا إلى العرافة لعلها تقنعه بمغادرة المدينة.

لا نمتلك معلومات عن موقف الفرس من الاسكندر المقدوني،ولكن انضمام الشبان الفرس في جيش الاسكندر يوحي بعدم وجود ميول عدائية ضده في بلاد فارس،ولكن مع ذلك لا يمكن أن نسلم إن الفرس بأجمعهم لم يظهروا عداءهم للاسكندر وفي اقل تقدير لابد وان كان أولئك الذين كانوا ماسكين بزمام السلطة السياسية من الفرس في بلاد فارس قد كانوا معادين له،لأنهم فقدوا امتيازاتهم السابقة بسقوط الدولة الاخمينية،وينسحب الأمر كذلك على رجال الدين من الزرادشتيين الذين تضررت مصالحهم بغياب حماتهم من ملوك الفرس،ونحن نمتلك رواية تشير إلى الضرر الذي لحق بالديانة الزرادشتية من جراء غزو الاسكندر المقدوني،فطبقا للروايات المتداولة عن الافستا(الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية) والتي يتناقلها رجال الدين الزرادشتيين انه توجد في العصر الاخميني نسختان فقط من الافستا إحداهما محفوظة في البلاط الشاهنشاهي في برسيبولس والثانية محفوظة في مقر معبد النار اذركشسب وان الاسكندر المقدوني عندما هزم الجيوش الاخمينية وأطاح بعرش داريوس الثالث عام 331 قبل الميلاد ووصل إلى تخت جمشيد عن طريق سوسة احرق القصر الملكي وراحت النسخة المحفوظة في القصر طعمة للنيران،أما النسخة الثانية،والتي كانت في معبد النار اذركشسب،فان الاسكندر أمر بان ترسل إلى اليونان وتترجم هناك[84].فإذا صحت هذه الرواية

---

[81]) اريانوس،أيام الاسكندر في العراق،ص46.

[82]) المصدر نفسه،ص47.

[83]) المصدر نفسه،ص49.

[84]) عبد السلام عبد العزيز فهمي،تاريخ اللغة الإيرانية،(الفجالة:مطبعة شاتو،1972)،ص41.

فلابد وان كان رجال الدين الزرادشتيين حانقين جدا على الاسكندر المقدوني ذلك القائد الذي تسبب في ضياع النصوص المقدسة لديانتهم.وهناك رواية تعرف بين الزرادشتيين باسم:"كتاب عن فيراز الصالح"(أردا فيراز ناماك)،وهذا الكتاب يعود إلى القرن التاسع أو العاشر الميلادي ويعد من الآداب الزرادشتية الأكثر انتشارا وقراءة،بين الزرادشتيين،نقرأ فيه معلومات يمكن أن يستفاد منها لمعرفة موقف الزرادشتيين من الاسكندر والرواية تقول:"هكذا يقال بان زرادشت الصالح نشر في زمن ما الدين على الأرض،الذي أوحى (به) الإله له،وظل هذا الدين محافظا على نقائه،ولم يتعرض الناس للشك فيه لمدة ثلاثمائة سنة.من ثم،لتجبر روح الشر القذرة والملعونة،(دفعت)الناس على الشك بهذا الدين،(و) أرسلت الرومي المقيم في مصر الكسندر إلى إيران ليقوم بنهبها ونشر الرعب فيها،فقتل ملك إيران،ودمر قصره وسلب دولته.ذلك الآثم،الملعون،الحقود،الرومي،السافل الكسندر المقيم في مصر،جمع الكتب الدينية واحرقها،وبالأخص افيستا والزند[تلك الكتب] التي كتبت بأحرف ذهبية على جلود الأسود،المجهز لهذا الغرض،وحفظت في مدينة واصطخر... وهو (الذي) قتل أيضا الكثير من رؤساء الكهنة،والقضاة،والهرابذة،والموابذة.أنصار الزرادشتية وحكماء إيران وشخصياتها المعروفة.(و)زرع الكسندر الضغينة والفتنة بين النبلاء وبعض حكام إيران وصاروا يعادون بعضهم بعضا نتيجة عمله هذا،ولكن الاسكندر نفسه هلك ودخل الجحيم"[85].رغم الأخطاء التاريخية في رواية أردا فيراز ناماك إلا إنها تشير إلى ذكريات ذلك العمل الذي ارتكبه الاسكندر في تدمير الكتابات المقدسة الزرادشتية.ولكن هل بالفعل عمل الاسكندر على تحطيم الزرادشتية،لا نمتلك معلومات تشير إلى عكس ذلك،ولكن يمكن أن نثق بالرواية الزرادشتية لان فيها الكثير من الوجاهة،فاقل تقدير ربما بالفعل حرقت نسخة الافستا عندما أقدم الاسكندر على حرق القصر هناك هذه الحالة التي تشير إليها الرواية الإغريقية أيضا[86]،وربما كان الزرادشتيون يعتقدون إن حرق نسخة الافستا كان عملا مقصودا من الاسكندر.

3.النتائج الفعلية لغزو الاسكندر المقدوني للشرق الأدنى

كان لاحتلال الاسكندر المقدوني للشرق بداية فعلية لمتغيرات سياسية وحضارية بعيدة المدى إذ سمح هذا الاحتلال وعلى نطاق واسع باحتكاك شديد بين الحضارتين اليونانية(الهلينية) والشرقية،وكان ذلك الاحتكاك قد استمر في عهد الاسكندر وخلفائه السلوقيين والبطالمة.وكان من نتائجه بروز عناصر حضارية طبعت إقليم الشرق وسكانه،وهذه العناصر الحضارية تستمد مقوماتها من تراث الحضارة القديمة مع التأثيرات الهلينية،لذا يصطلح على تسمية السمات الحضارية الجديدة أو هذه المرحلة الحضارية،وبكل خصائصها السياسية

---

85) افيستا:الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية،تحرير:خليل عبد الرحمن وآخرون،(دمشق:روافد للثقافة والفنون2008)،ص870-872.

86) حول مسألة حرق القصر في برسيبولس انظر:باقر،مقدمة،ج2،ص446؛سليمان والفتيان،محاضرات،ص218؛برن،تاريخ إيران،ص434؛الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص129؛باقر،مقدمة،ج1،ص652.

والاقتصادية بمرحلة الحضارة الهلنستية[87].ولكن السؤال الذي يبرز هل إن الحضارة الهلنستية هي نتاج غزو الاسكندر المقدوني للشرق وحسب؟ هل هناك من عوامل قد مهدت إلى هذا الامتزاج الحضاري أو يمكن إن نسميه الوحدة الحضارية التي عمت الشرق؟.هل من أدلة على تأثيرات شرقية بعيدة المدى في مهدت لظهور الحضارة الهلنستية؟ إن أدلة يمكن أن نسوقها هنا لإثبات إن الشرق هو الذي قد بدأ الخطوة الأولى نحو هذه الوحدة الحضارية،وعلى الأقل هناك عوامل مهمة مهدت الأرضية المناسبة لظهور الحضارة الهلنستية بهذا الشكل السريع أي مباشرة بعد دخول الاسكندر للشرق.وأول هذه العوامل هي الدولة الأشورية وبالأخص ما يعرف باسم سياسة الترحيل الأشورية كما لاحظ الأستاذ هاري ساكز المتخصص في الأشوريات.

يتحدث الأستاذ ساكز ويقول انه من المحتمل كانت أكثر المساهمات الأشورية إلى تاريخ العالم أهمية هي سياستهم في ترحيل السكان،إذ كان عدد السكان الذين تأثروا بالترحيل الأشوري كبيرا،وقد قدر العدد في القرون الثلاثة الأخيرة من عهد الإمبراطورية الأشورية إلى ما يقرب من أربعة إلى خمسة ملايين.وان أهمية ذلك على الأمد البعيد هو التأثير على الاختلاط العرقي.فالاعتبارات الجغرافية،والجبال والأنهار والصحاري مجتمعة مع العوامل التاريخية التي عملت على تقسيم الشرق الأدنى إلى مناطق منفصلة تتجه نحو الانعزال.وكانت سياسة الترحيل الأشورية من أكثر القوى فاعلية في بدء عملية كسر الانعزال.وفي بعض مدن وعواصم بلاد أشور نفسها كان الأشوريون عرقيا يكونون الأقلية لان أقواما من لغات وأجناس أخرى غير الأشوريين قد استقروا هناك وعوملوا كمواطنين متساوين مع غيرهم.ومع استمرار عملية الاستيطان هذه،المفروضة بالقوة،في جميع أرجاء الحكم الأشوري، كان هناك زيادة كبيرة في الاختلاط العرقي يقابله إضعاف الخصوصية العرقية.ولم تكن هذه عملية سريعة ولم تظهر نتائجها مباشرة إلا إنها مهدت الطريق للوحدة الحضارية المتزايدة في جميع أرجاء المنطقة.وقد اثر ذلك على التاريخ التالي لكل الشرق الأدنى.لقد وفرت عملية كسر الانعزال أرضية متجانسة جعلت من الممكن طبع الشرق الأدنى بطابع الهلنستية بعد الاسكندر[88].ويمكن أن نلاحظ عامل أخر عمل على أعطاء الشرق القديم طابع الوحدة الحضارية وهو عامل اللغة الآرامية.فمنذ القرن السابع قبل الميلاد أخذت الآرامية بالانتشار وبدأت تقتحم معاقل اللغة الاكدية وعندما كان الملوك الأخمينيون يفتشون عن لغة مفهومة وسهلة بالنسبة لجميع الشعوب المختلفة التي خضعت لهم اختاروا اللغة الآرامية،وسرعان ما انتشرت الآرامية بقوة لدرجة إننا نجد إن عملة الحكام وأمراء القبائل الذين كانوا في أسيا الصغرى كانت تحمل نقوشا أرامية إلى جانب اللغة الإغريقية،وقد استخدم بعض أشراف هذا العصر اللغة الآرامية في نقشين من نقوش أسيا الصغرى؛واحد هذين النقشين يستخدم الإغريقية إلى جانب الآرامية.وان اللغة الآرامية نفسها قد امتدت في أسيا الصغرى حتى وصلت الدردنيل وسينوب على البحر الأسود.ومن مصر وصلتنا نقوش أرامية ترجع إلى العصر الفارسي منها واحدا يرجع بتاريخه إلى السنة الرابعة من حكم احشويرش أي عام 482 قبل الميلاد.هذا وقد وجدت نقوش أرامية

---

87) الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص129.

88) هاري ساكز،قوة أشور،ترجمة:عامر سليمان،(بغداد:مطبعة المجمع العلمي العراقي،1999)،ص378-379.

قديمة في داخل الجزيرة العربية في واحة تيماء شمال الحجاز وربما ألف أقدمها بل أهمها قبل العصر الفارسي؛وقد دخلت الآرامية هنا عن طريق التجارة.ويمكن أن نتعرف أيضا على فصول أرامية في العهد القديم وان بعض فصول سفر عزرا الآرامية ربما دونت في العصر الفارسي[89].بلا شك كان انتشار اللغة الآرامية الكبير ساعد بشكل واسع على تناقل الأفكار وفهمها بين عدد كبير من شعوب الشرق القديم الأمر الذي يمكن عده عامل مهم من العوامل الممهدة لانتشار الهلنستية فيما بعد.ولعل عامل لا يمكن إخفاءه هنا يقدم لنا تفسيرا عن سبب الانتشار السريع للهلنستية بمقدم الاسكندر المقدوني،إلا وهو الاحتكاك بين الشرق والغرب في عصر الدولة الاخمينية السابق لغزو الاسكندر الكبير.وترجع بدايات الاحتكاك إلى عهد كورش الكبير مؤسس الدولة الاخمينية،عندما اجتاح دولة ليديا في أسيا الصغرى واجتاح أيضا بعض المستوطنات اليونانية في غربي أسيا الصغرى.وازداد هذا الاحتكاك تعمقا بعد مشاريع داريوس الكبير العسكرية،عندما عبر البوسفور وتعقب ملوك قبائل الساكا،وبلغ في تحركاته نهر الدانوب فخضعت الكثير من المستوطنات اليونانية على الساحل الأسيوي وبعض الجزر القريبة لسيطرته،كذلك الاحتكاك باليونانيين من خلال مقاطعة مقدونيا.أما الحروب الفارسية(490-480قبل الميلاد) بين اليونانيين والفرس فإنها قد نقلت الاحتكاك الخارجي بين الطريفين إلى واقع يعيشه آلاف من جنود المتخاصمين يوميا،فضلا عن الأسرى من الطرفين الذين نقل بعضهم إلى قصور الملوك والأمراء في المدن والعواصم.ويمكن أن نتذكر أيضا بهذا الخصوص عهد ارتحششتا الأول،ذلك العهد السلمي بين الأخمينيين واليونانيين،والذي هيأ الفرصة أمام العديد من المؤرخين والعلماء والفلاسفة اليونانيين للتوغل في أقطار الشرق الخاضعة للأخمينيين ،ومن هؤلاء هيرودوتس الذين ساعدوا في عملية التفاعل الحضاري بين المركزين.وهكذا نجد بذور الهلنستية تغرس في العصر الاخميني الذي مثل العالم الشرقي بأسره.وكانت سبل المواصلات في هذا العصر متطورة إلى حد بعيد،وذلك بفضل المواصلات البحرية التي تطورت كثيرا بفضل الفينيقيين أو البرية التي ازدهرت طرقها الصحراوية بفضل الجمل وأصحابه التجار العرب،أو في الطرقات الأخرى التي بذل الأخمينيون جهدا ملحوظا منذ أيام داريوس الكبير على شقها ورصفها بالحجارة،وزرع نقاط الحماية على طولها،وقد عثر على نقود يونانية في معظم الأقاليم الغربية للدولة الاخمينية،وبعضها يرجع للقرن الخامس قبل الميلاد،ومعظمها يعود للقرن الرابع قبل الميلاد.وجاءت هذه المسكوكات من بلاد الرافدين وسوريا وفلسطين وجنوبي الجزيرة العربية.وتؤكد المكتشفات الاثارية من الصناعات الإغريقية في سوريا وفلسطين وإيران والعراق عن تطور الاتصالات بين العالمين الشرقي والغربي.وهكذا أصبح العالم القديم بشقيه الشرقي والغربي مهيأ لقبول المتغيرات النوعية في الحياة المادية والفكرية.ويرى البعض انه لو تهيأت للفرس الأخمينيين السيطرة الناجزة على بلاد اليونان مركز الحضارة والفكر الغربي،ولو لم يكن الأخمينيون دعاة ديانة جديدة ،تعصبوا إليها كثيرا،وهي الزرادشتية

[89]) حول انتشار اللغة الآرامية انظر:تيودور نولدكة،اللغات السامية،ترجمة:رمضان عبد التواب،(القاهرة:دار النهضة العربية،1963)،ص50-52؛سامي سعيد الأحمد،تاريخ اللغات الجزرية-مطبوع ضمن كتاب:حضارات الوطن العربي أساسا للحضارة اليونانية،(بغداد:مطبعة إيلاف،2003)،ص145-146.

التي كان انتصارها في إيران بفضل الأخمينيين فلربما برزت عناصر الحضارة الهلنستية قبل تاريخها بوقت طويل[90].من ذلك نخلص إن الهلنستية ليست نتاج للغزو الذي نفذه الاسكندر المقدوني للشرق بقدر ما هو نتاج مباشر للمدنية الشرقية القديمة فالأشوريون ساهموا أولا في كسر الانعزال الفكري والجغرافي في أنحاء الشرق وكان للغة الآرامية دورها الفاعل في توحيد العالم القديم فكريا وساهم وجود الدولة الاخمينية في وضع كل تجارب الشرق السابقة أمام اليونانيين وأعطوا اللمسات الأخيرة في جعل الطريق ممهدا أمام الاسكندر المقدوني لتنفيذ عملية نشر الهلنستية التي أصبحت جاهزة.

إن دراسة هذه الحقبة تشكل أهمية خاصة لمعرفة النتائج الحقيقية المترتبة على غزو الاسكندر لمقدوني للشرق ،فمن جانب استولى الإغريق بزعامة الاسكندر المقدوني على الإمبراطورية الفارسية بكاملها ونقلوا نظام دولة المدينة (Polis) الاقتصادي حتى نهر السند وجيحون.وقد جعلت غزوات الاسكندر مصر واسيا الغربية منطقة من مناطق النظام الثقافي والاقتصادي اليوناني،ومن نتائج هذه الفتوحات إنها فتحت أسيا للتجارة اليونانية وللاستعمار اليوناني،ولهذا خففت مؤقتا من وطأة الأزمة الاقتصادية التي تمر بها بلاد اليونان.وفي هذه المنطقة الجديدة الواسعة كانت تستعمل لغة يونانية واحدة،لذلك أصبحت الأفكار تنتقل بحرية،وعملت وحدة النقود والطرق الجديدة والمرافئ والمنازل المحسنة والسفن الكبيرة على تسهيل المعاملات التجارية.وان ضم الإمبراطورية الفارسية لم يكن مجرد تغير في السلالة الحاكمة بقدر ما كان احتلال عالم جديد للاستعمار اليوناني[91].لكن من ناحية أخرى أدى تدمير الإمبراطورية الفارسية،إلى قيام هيمنة جديدة مؤسسة على استعباد شرس للسكان الأصليين على يد الإغريق والمقدونيين،وان هدم إمبراطورية الفرس لا يعد مهما بالنسبة للجماهير الشعبية،فقد تلى نير الإمبراطورية الفارسية المتهرئ استغلال أقسى مارسه المحتلون[92].

لقد كان لقيام الاسكندر بتشييد عددا من المدن الجديدة في الشرق ذا نتائج مهمة في طراز المدينة الشرقية،ويمكن أن نوضح الفرق الكامن بين المدن الشرقية القديمة والمدن الجديدة التي أنشأها الاسكندر.ففي المدن القديمة فضل المخططون القدماء وضع مناطق القصور والمعابد والمراكز الإدارية والشوارع الرئيسة على خطوط مستقيمة وترك أجزائها الأخرى في شبه فوضى وارتباك فحصل نتيجة لذلك تطور عفوي عشوائي،غير منتظم يتميز بشوارع ضيقة وأزقة ومناطق سكنى مزدحمة.وقد استمرت بعض المدن كبابل وأشور بهذا الشكل بعد غزو الاسكندر حيث أغلق قسم من شوارعها ولذلك لم يعد هناك نظام أو ترتيب للسكنى[93].

لكن الاسكندر قد فهم أهمية المدن من نواحي متعددة تشمل الإدارية والاقتصادية والأكثر أهمية السوقية.وقد شجع الاسكندر تأسيس المدن الإغريقية في الشرق،وهي سياسة اتبعها أبوه عند غزوه تراقية،لغرض السيطرة على مركزية الإدارة.وفي

---

[90]) انظر هذا التحليل في:الأحمد والهاشمي،تاريخ الشرق القديم،ص135-136.

[91]) كوردن تشايلد،ماذا حدث في التاريخ،ترجمة:حسين مؤنس،(القاهرة:بلا.مط،1956)،ص236-237؛انظر كذلك:دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج2،ص397.

[92]) دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة،ج2،ص397-398.

[93]) ألصالحي،"المدينة،ص349-350.

الوقت الذي كانت فيه المدن الشرقية القديمة تبنى بشكل غير منتظم فان المدن الجديدة شيدت حسب التخطيط المنظم الهيبوديمي(Hippodamian)الذي تميز بشوارع مستقيمة متقاطعة مع بعضها بزوايا قائمة.ومصمم هذا التخطيط المنظم أو الذي في بعض الأحيان يسمى بالتخطيط حسب رقعة الشطرنج،هو ايوني إغريقي من مدينة مليتوس في أسيا الصغرى الذي أعاد بناء مدينته في عام 479 قبل الميلاد بعد أن دمرها الفرس حسب تخطيط منتظم اشتهر باسمه.وقد اتبع هذا التخطيط في العديد من المدن الإغريقية والرومانية مثل بيرايوس ميناء أثينا في نحو منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ومدينة ثوري(Thurii) في عام 443 قبل الميلاد.وقد اتبع الاسكندر هذا التخطيط لأنه يلبي الاحتياجات العملية للمستعمرات والمدن الإغريقية.ويتم تشييد المدن عن طريق تخصيص الأراضي لمواقع الأبنية مسبقا وحسب الأهمية فللاغورا (Agora) التي نواة ومركز حياة المدينة،خصص عدد من الوحدات المربعة أو المستطيلة والتي ضمت معابد المدينة وأسواقها التجارية ومراكز لتجمعاتها السياسية،وتميزت الشوارع بعرض واسع نسبيا وقسم منها رصف بالحصى الناعم وقسمت أراضيها المخصصة للسكنى إلى وحدات سكنية ثم وزعت على المواطنين بالتساوي[94].وان هذه المدن كانت تشبه المدن المعاصرة لها في بلاد اليونان بما تمتعت به من وسائل الحياة التي لابد منها في المدينة الكلاسيكية،من الاغورا والمسرح والمباني الرسمية والمدارس والينابيع العامة.وكان يقطنها جماعات من الموظفين والتجار وأصحاب المصارف والصناع والمزارعين الذين يعملون في الصناعات والفنون حسب الأسلوب اليوناني ويعبدون آلهة يونانية،وكانوا جميعهم من الإغريق أو من المتأثرين بالهلينية.من جانب أخر فان المدن الشرقية القديمة وكل ما يبعث فيها النشاط من تجارة وصناعة وطنية وديانة وعلوم وقوانين ومؤسسات لم تصب بأي ضرر[95].من هذا يتضح إن تشييد المدن الجديدة قد افرز نمطين من الحياة الأولى خاصة بالمدن الشرقية القديمة التقليدية وأخر خاصا بالمدن الجديدة،ولكن بكل الأحوال هذا لا يعني إن التجديد والتطوير في مفهوم المدينة ارتبط بالإغريق الوافدين.فالمعروف إن البابليين والأشوريين أول من بنى المدينة بشوارع مستقيمة متقاطعة قائمة،فسنحاريب عندما أعاد تشييد مدينة نينوى اعتنى بالطريق المؤدي إلى القصر الجديد،فقد قام بتوسيع الشوارع الموجودة ليعمل طريقا ملكيا عرضه أكثر من تسعين قدما،يتألف من طريق مرتفع من ألواح الحجر الكلسي[96].وفي مدينة بابل نجد أنها تتألف من ثمانية شوارع عريضة يؤدي كل منها إلى أبواب المدينة،وتنظم إليها الشوارع الضيقة والأزقة والمنعطفات المسدودة غير النافذة بالبيوت السكنية الخاصة،وهي بالطبع لم تكن تبدو جميلة بهذه الدرجة كالشوارع،وغير مبلطة بالحجارة ولكنها بقيت بحالة نظيفة ومرتبة،وبما إن أرضية المدينة عبارة عن طبقة زراعية سميكة لذا كانت أرضية الشوارع مغطاة بخليط من خامات الأجر المكسرة والنفايات والرماد والأوعية الخزفية المكسرة المدكوكة بإحكام[97].رغم إن المدن الشرقية لم تصل إلى مستوى المدن الجديدة من حيث التخطيط إلا إن المخططين الشرقيين تمكنوا من التوصل إلى

---

[94]) المصدر نفسه،ص350-351.

[95]) تشايلد،ماذا حدث في التاريخ،ص238.

[96]) ساكز،قوة أشور،ص274.

[97]) ف.أ.بليافسكي،أسرار بابل،ترجمة:توفيق فائق نصار،(دمشق:دار علاء الدين،2007)،ص157.

مفاهيم مهمة في تخطيط المدن،من ضمنها ظهور الشوارع المستقيمة.

من النتائج الأخرى لغزو الاسكندر للشرق انه نفسه كما يبدو قد وقع تحت سطوة المؤثرات الشرقية وربما كان تعيين مازيوس كأول فارسي يتولى منصب إداري في إمبراطوريته له مغزاه،فقد كانت تعاليم أستاذه أرسطو له تقضي بعدم صلاحية البرابرة(المقصود بهم هنا الشرقيين) بطبيعتهم للحكم واعتبارهم غير أهل له،فأراد الاسكندر أن يرى مدى صلاحية ذلك،وكان أرسطو قد علمه إن أولئك البرابرة لابد من معاملتهم كما يعامل العبيد،ولكن الاسكندر قد أدرك إن معلمه أرسطو ليس مصيبا في هذا الشأن.فالاسكندر كانت قد بهرته الحضارات الخالدة التي كانت عليها مصر وبابل[98].وسرعان ما اخذ الاسكندر يميل للشرق ويقع تحت تأثيره فعين الفرس في المناصب الإدارية،والجيش،واظهر اهتماما متزايدا بالفرس بعد موت داريوس فدعم الارستقراطية الفارسية،واقتبس العادات الفارسية منها الظهور بالملابس الفارسية في مناسبات معينة والمشاركة في الاحتفالات الفارسية،ومتخذا مراسيم البلاط الفارسي فضلا عن ذلك فقد اتخذ عادة السجود له وهي عادة فارسية،وكان بمقتضاها على جميع من يقتربون من الملك أن يؤدوها.وكان هذا الإجراء بالنسبة للفرس،أمرا اقتضته الشعائر الرسمية،فلملوك الأخمينيون ليسوا بآلهة،وليس السجود بنظر الفرس ما يتضمن عبادة،ولكنه في نظر اليونانيين والمقدونيين كان ينطوي على عبادة حقة،وما كان الإنسان ليسجد إلا للآلهة،وكان الاسكندر على بينة تامة من الكيفية التي لابد أن يفسر بها ذلك السجود.وبناء على ذلك فهو لابد كان يبغي أن يصبح إلها،وفي الواقع إن المقدونيون لم

[98]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص97-98.

يبدو معارضة فعالة من هذه العادة،ولكن استياءهم بل غضبهم كان جليا.ويمكن أن ننظر إلى هذا الاستياء ليس بسبب مسألة السجود للملك فقط،بل تذمر من كل سياسته الشرقية تلك السياسة التي جوبهت بشدة من قبل جنده المقدونيين،وقد قتل الاسكندر فيما بعد كليتوس الصديق المقرب إليه عندما أعلن احتجاجه على سياسته الشرقية ودعم الفرس وعيره بأنه ابن أمون وليس ابنا لأبيه [99].وقد واجه الاسكندر مصاعب اشد عندما اخذ بالاستعداد لدفع مكافآت إلى المتقدمين في السن من جنده المقدونيين المتمرسين في القتال،بغية صرفهم من الخدمة وإعادتهم إلى بلادهم،واستبدالهم بالشبان الفرس الذين كان قد مضى عليهم خمس سنوات من بدء تجنيدهم عام 330قبل الميلاد،وكانوا يتدربون على فنون القتال ويقومون بمهمات الجنود في حراسة المعسكرات وحماية الحصون والقلاع.وقد خشي الجنود المقدونيون من إنهم إذا نفذ الاسكندر خطته هذه،سيكون عددهم ثلث عدد الجنود في الجيش النظامي كله،فيصبح بإمكان الاسكندر أن يستغني عنهم متى شاء.ولهذا فقد اغضب ذلك الجند المقدونيون وأعلنوا جميعا:"اتركنا نرجع باجمعنا إلى بلادنا،وابق أنت وحدك وحارب معاركك بمن معك من الفرس،ومعك أبوك أمون".ولكن عندما عزم الاسكندر على تنفيذ ما هدد به الجند،وأراد إعادتهم جميعا إلى بلادهم،انهوا الإضراب فكان له ما أراد[100].ويبدو إن الاعتراضات التي جوبه بها الاسكندر ليس فقط لتزايد النفوذ الشرقي لدى الاسكندر

[99]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص130-132؛مكاوي،الشرق الأدنى،ص19-20؛دياكوف وكوفاليف،الحضارات القديمة،ج2،ص396.

[100]) برن،تاريخ اليونان،ص438؛مكاوي،الشرق الأدنى،ص22-23.

وحسب،بل ربما ترتبط بنظرة اليونانيين إلى الشرقيين بشكل عام.فالعالم اليوناني كان ينظر إلى الشعوب الشرقية على إنهم من البرابرة،ولاسيما الفرس الذين احتكوا بهم كثيرا في السابق،ففي القرن الرابع قبل الميلاد وفي وقت حملة الاسكندر على الشرق كانت الأفكار السائدة عن الشرق بشكل عام في العالم اليوناني سلبية بشكل واضح فلم يرق لليونانيين أن يعمد البرابرة مثلا وهم سلالات دنيا لا تعرف القانون إلى مهاجمة بلادهم.ولكن الرأي السديد في ذلك العصر لم يجد مانعا يحول دون أن يهاجم اليونانيون البرابرة متى شاءوا ذلك؛فأفلاطون يقول إن البرابرة جميعا أعداء بالسليقة وانه من اللائق أن يشن اليونانيون الحرب عليهم،ولو أدى الأمر إلى استرقاقهم أو إبادتهم،كما سماهم ايسوقراط أعداء طبيعيون، وحض بشدة على خوض مثل هذه الحروب عليهم.أما أرسطو فيعد هذه الحرب عادلة وطبيعية،ونصح تلميذه الاسكندر بان يعامل البرابرة على إنهم رقيق،وهذا هو وصفهم الطبيعي[101].فإذا ما عرفنا كيف ينظر العالم اليوناني للعالم الشرقي يمكن أن نفهم جانبا مهما من الاعتراضات التي واجهتها السياسة الشرقية للاسكندر.

إن حملات الاسكندر المقدوني على الشرق وظهور المؤثرات الهلينية لم يمح بشكل مؤكد العادات والتقاليد السائد في البلدان الشرقية والتي استمرت لآلاف السنين وقد تسربت أخبار تقاليد العالم الشرقي للمدونات الإغريقية وان كانت بشكل مشوه ولكن تخفي وراءه عادات وطقوس قديمة ما زالت موجود ليس عند دخول الاسكندر بابل،بل حتى إلى قرون متأخرة في عصر بلوتارك الذي يروي قصة عن الاسكندر في بابل تقول:"في ذات يوم بعد أن خلع الاسكندر ملابسه لمسح جسده بالزيت،وكان يلعب بكرة،وقبل أن يجلبوا ملابسه شاهد الشبان الذين كانوا يلاعبونه رجلا مرتديا أردية الملك وواضعا تاجا على رأسه يجلس صامتا على كرسي العرش.وسألوه من يكون؟ فلم يرد،وأخيرا ابلغهم إن اسمه ديونيسيوس وانه مسينيا،وانه جلب إلى هنا من شاطئ البحر بسبب جريمة اتهم بارتكابها ووضع في السجن زمنا طويلا وان سيرابيس ظهر له وحرر من قيوده وقاده إلى هذا المكان وأمره أن يرتدي رداء الملك وتاجه ويجلس حيث وجدوه ولا يقول شيئا.وعندما سمع الاسكندر ذلك أمر بقتل الرجل وفقا لمشورة عرافية،غير انه فقد حيويته وثقته بحماية الآلهة ومساعدتهم،وأصبح يشك بأصدقائه"[102]إن من الواضح إن ما رواه بلوتارك كان من طقوس بلاد ما بين النهرين القديمة الخاصة بتنصيب الملك البديل،وهو تقليد يبدو ما يزال حيا في وقت دخول الاسكندر إلى بابل[103].

الخاتمة:

من خلال الاطلاع على المادة المتوفرة عن سياسة الاسكندر المقدوني في الشرق توصل الباحث الى عدة نتائج اهمها:

1. اتبع الاسكندر النظام الفارسي في تقسيم الإمبراطورية إلى ولايات(ستراپيات)،ووضع في المناصب الحكومية الرئيسة من يعتمد عليهم من المقدونيين واليونانيين.
2. كانت ابرز أعمال الاسكندر الإدارية يمكن أن هي: سك النقود وتأسيس المدن الجديدة.
3. كانت سياسة الاسكندر في أسيا الصغرى تهدف إلى مراعاة الأنظمة السياسية التي الفتها المدن اليونانية.

[101]) تارن،الاسكندر الأكبر،ص32.

[102]) اوتس،بابل،ص212-213.

[103]) المصدر نفسه،ص213.

4.لقد كان ولاة الفرس كما وجدهم الاسكندر في العديد من اقاليم الشرق الادنى، يجمعون في أيديهم كل السلطة العسكرية والمدنية، وفي وسعهم سك العملة. لذا عمل الاسكندر على الفصل بين السلطات الثلاثة: المدنية والحربية والمالية.

5.في مصر أبقى الاسكندر الإدارة بيد أهلها بالدرجة الأولى، ما عدا قيادة الحامية التي أودعها إلى قادته.

6.اتبع الاسكندر سياسة التسامح في بابل ، فأعاد مازيوس إلى منصبه، وأبقى البابليين، مثلما فعل مع المصريين في مراكزهم الوظيفية والإدارية والدينية، ولكن شؤون الجيش والمالية انيطت بالمقدونيين، في وقت حاول الاسكندر كما فعل في مصر من محاولة إرساء القيم الإغريقية في إيران.

7.إن محاولة فهم موقف مناطق الشرق الأدنى من الاسكندر المقدوني واحتلاله لأراضيها مسألة مهمة وقد اختلفت هذه المواقف في كل منطقة عن الأخرى فبعض مناطق الشرق القديم قد رحبت بالإسكندر على انه محررها، والأخرى رفضت خضوعها له وقاومته بشدة، ونجد هاتين الصورتين في وقت مبكرة من تاريخ حملة الاسكندر على الشرق.

8.كان ارز نتائج احتلال الاسكندر للشرق بروز عناصر حضارية طبعت إقليم الشرق وسكانه، وهذه العناصر الحضارية تستمد مقوماتها من تراث الحضارة القديمة مع التأثيرات الهلينية، لذا يصطلح على تسمية السمات الحضارية الجديدة أو هذه المرحلة الحضارية، وبكل خصائصها السياسية والاقتصادية بمرحلة الحضارة الهلنستية

ادارة اقليم افريقية من التحرير حتى نهاية الاغالبة



د. فرات حمدان عبد المجيد
كلية الآداب/الجامعة المستنصرية

توطئة

يعد تاريخ المغرب وأفريقية من المواضيع الجديرة بالبحث ، لأن مغرب الدولة العربية الإسلامية لم يغط بكل جوانبه بشكل عام ، بل هناك الكثير من الحلقات في هذا التاريخ المتشعب لازالت مجهولة ، ومن هنا جاء اختيارنا لدراسة هذه المنطقة.

لم تكن الجوانب الإدارية واضحة كل الوضوح بعيد عمليات التحرير ، ذلك إن جهود الولاة تركزت على تثبيت أركان الدين الإسلامي ، وكسب ولاء أهالي المنطقة للإسلام ، وفي العصر الأموي الذي شهد الكثير من الحركات والاضطرابات ، ابتدأ عصر الولاة الذي زخر بهذه الحركات ولكن يقظة الخلافة وتمسكها بالسيطرة على المنطقة كان يحبط كل محاولات سلخها عن مركز الخلافة .

أستمر الحال ذاته في العصر العباسي ، ولكن عصر الأغالبة شهد سيطرة هؤلاء على زمام الأمور ، كما شهد هذا العصر تحركات أخرى كان يقوم بها أهالي المنطقة ، وهذه الحركات أجبرت الكتاب والمؤلفين في تأريخ المغرب العربي على تسليط الضوء على النواحي العسكرية دون الإدارية ، وهذا ما لا نبغيه في هذا البحث

لم تشهد المنطقة إصلاحات إدارية واضحة عدا إجراءات القائد عقبة بن نافع الذي توج جهوده العسكرية ببناء مدينة " القيروان " سنة50هـ ، ولكن الإصلاحات الجذرية ، والأساس الإداري لأفريقية لم تتضح إلا بإجراءات القائد حسان بن النعمان التي شملت كل نواحي الحياة ، وكانت هناك إصلاحات متفرقة لبعض الولاة الذين كانوا يقومون بإصلاحات إدارية وعمرانية حينما يجدون فسحة من الوقت للقيام بذلك ، وتم ذلك في عصر الأغالبة حينما نعمت المنطقة ببعض الهدوء والاستقرار.

كانت علاقة المنطقة مع الخلافة في أغلب الأوقات متوافقة ، سواء الأموية أم العباسية ، إذ بقي تعيين أمراء أفريقية مقترناً بموافقة ورضا الخليفة ، حيث

كان يرسل بعهده إلى من يختاره ، عدا ما حصل في زمن حكم الأغالبة ، إذ أصبحت أفريقية إمارة وراثية تدار من قبل الاغالبة.

التسمية والموقع الجغرافي

أطلق الرومان اسم " أفريقية " على الإقليم الذي يقابل في الوقت الحاضر القسم الشمالي الشرقي من تونس ، وكان يعرف باسم ولاية أفريقية القنصلية[1]،وهو الإسم الذي عرب فيما بعد إلى أفريقية، وأطلقه العرب على كل أقليم يلي طرابلس غرباً، ثم تحدد مدلول أفريقية فأقتصر على ما يلي إقليم طرابلس غرباً حتى مدينة "بجاية"[2]. فأفريقية في معظم المصادر تعني الإقليم الذي تتوسطه القيروان و يمتد من طرابلس حتى بجاية[3]. أما تسمية "تونس" فهي مدينة كبيرة محدثة بأفريقية على ساحل بحر الروم، عمرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها "قرطاجنة"، وكان اسم تونس في القديم "ترشيش" وهي على بعد ميلين من قرطاجنة، وهي الآن قصبة بلاد أفريقية، وليس لها ماء جارٍ، إنما شربهم من أبار وما يجتمع فيها من ماء المطر ، وماؤها ملح، ولها غلة فائضة، وهي أصح بلاد أفريقية هواءً، وبها أسواق كثيرة، ومتاجر عجيبة، وفنادق وحمامات، ودور المدينة كلها رخام بديع، وهي من أشرف بلاد أفريقية وأطيبها ثمرة وأنفسها فاكهة[4]. وكانت مدينة القيروان قاعدة المغرب الأدنى في صدر الإسلام، وقد اشتمل هذا الإقليم على عدة مدن منها: باجة[5]، بنزرت[6]، صفاقس[7]، سوسة[8] وغيرها[9]. وسميت تونس بهذا الاسم في أيام الإسلام حيث كان بقرب تونس صومعة راهب، فكانت سرايا المسلمين تنزل بإزاء تلك الصومعة وتأنس بصوت الراهب فيقولون هذه الصومعة تؤنس فلزمها هذا الاسم فسميت تونس[10].

النظام الإداري في العصور الإسلامية

لم تجر بين المسلمين و أهل أفريقية أية مراسلات أو وفود من أجل الدخول في الإسلام ، لأن التاريخ الإسلامي بدأ فيها منذ أن تم تحريرها في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان " رضي الله عنه " بعد رفض الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب "رضي الله عنه "[11]. وقال: "إنها ليست بأفريقية، ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت "[12]. وهذا الرد من الخليفة يتفق مع طبيعته في حرصه على جنوده، وعدم الزج بهم في ميادين بعيدة نسبيا عن مركز الخلافة، فضلا عن الانطباع السائد عند الخليفة بأن أفريقية مفرقة وذلك لكثرة ما يحدث بها من اضطرابات وقلاقل مما يشكل خطورة على الجيش العربي الإسلامي، وبعد مجيء الخليفة عثمان بن عفان "رضي الله عنه "تم الإيعاز إلى القائد عبد الله بن سعد بن أبي سرح بتحرير أفريقية سنة 27 هـ[13]. وأجمع أهل أفريقية على الطاعة والإسلام وحسن إسلامهم[14] .وبعد إتمام عمليات التحرير باشر العرب المسلمون بمهام التنظيم الإداري للمنطقة بشكل يتلائم وطبيعة الإسلام باعتبارها إحدى الولايات الإسلامية، وبدأ هذا التنظيم عندما قام والي مصر عمرو بن العاص بتعيين القائد عقبة بن نافع نائباً عنه في إقليمي برقة وطرابلس[15]، وبذلك صارت أفريقية منطقة تابعة إلى والي مصر من الناحية الإدارية، وقد برز ذلك بوضوح منذ أن تولى مسلمة بن مخلد حكم ولاية مصر سنة 47هـ[16]. وبسبب التصادم بين ولاة مصر من جهة وأفريقية من جهة أخرى أصبحت الأخيرة منذ عصر الولاة إقليماً مستقلاً تختار الخلافة واليها ويرتبط بها مباشرة[17]. وكان من الطبيعي أن يقوم العرب المسلمون بعد إستكمال حروب التحرير بأجراء تنظيم جديد للمنطقة تمثل في تقسيم بلاد المغرب إلى أربعة أقسام إدارية هي:

-برقة وطرابلس: وهي ما يلي مصر الغربية[18]. ويتميز هذا الإقليم بوضع خاص فتارة يتبع إلى والي مصر، وتارة أخرى يتبع لوالي المغرب ، وسبب ذلك هو بعد هذا الإقليم عن مركز مدينة القيروان مما جعل عامل المدينة يتلقى الأوامر من ولاة مصر ،هذا بالنسبة لبرقة، أما طرابلس فكانت

منطقة واسعة وقام العرب المسلمون بتقسيمها إدارياً حسب التقسيم القديم ولكن أسماء المناطق غيرت[19].

-إقليم المغرب الأدنى : وهي المنطقة الممتدة من طرابلس حتى نهاية بجاية إلى الغرب وفيها مدينة القيروان[20]. ويضم هذا الإقليم مدينة تونس والقيروان وسبيلطة والزاب وغيرها.

-إقليم المغرب الأوسط: ويمتد هذا الإقليم من بجاية حتى جبل تازة في المغرب ويضم مدينة تلمسان[21]. ويشمل مدن كثيرة منها تاهرت و مليلة و وهران وغيرها [22].

-إقليم المغرب الأقصى: سمي كذلك لأنه أبعد الأقسام عن دار الخلافة ويمتد من جبال تازة حتى سواحل المحيط الأطلسي[23]. ويضم مدن كثيرة .

لابد من الإشارة إلى أن التقسيم الإداري في بلاد المغرب لم يكن ثابتاً بل كان يتغير تبعاً للظروف والأحداث التي شهدتها المنطقة.

في خلافة معاوية بن أبي سفيان فصلت ولاية أفريقية عن مصر وأصبحت ولاية مستقلة ترتبط بالعاصمة دمشق ، وعين معاوية بن أبي سفيان واليا على أفريقية هو معاوية بن حديج سنة 44 هـ[24]،الذي إتضحت في عهده ملامح الاستقرار والثبات، وكان هذا الوالي أول من بنى قاعدة ثابتة في المناطق المتقدمة (أي انه اتخذ قيرواناً)[25]. وفي سنة 48 هـ جمعت له ولايتا مصر وأفريقية[26]. ثم عزل عن منصبه وحل محله عقبة بن نافع سنة 50هـ [27].

بعد تولي القائد عقبة بن نافع ولاية أفريقية رأى أنه لابد للمسلمين من إنشاء قاعدة عربية إسلامية في أفريقية يكون بها عسكر المسلمين ،فبنى مدينة القيروان ، وبنى فيها المسجد ودار الإمارة ،واستغرق بناؤها خمس سنوات[28].ثم قسمت الأراضي المحيطة بالمسجد ودار الأمارة على المقاتلين الذين إختطوا مساكنهم حولهما[29] وبذلك كانت ولاية القائد عقبة بن نافع فاتحة عهد جديد تميز باستقرار العرب في بلاد المغرب من أجل مواصلة حروب التحرير ونشر الإسلام والحضارة العربية في تلك المنطقة[30].

في خلافة عبد الملك بن مروان عين القائد "حسان بن النعمان" على ولاية أفريقية سنة71هـ، وقام هذا القائد ببعض الأعمال التي تندرج في سياق التنظيم الإداري ومنها :

-تعمير تونس لتكون ميناءا عربيا إسلاميا بدلا من قرطاجنة، وأنشأ بها دارا لصناعة السفن، كما أنشأ إدارة مركزية ودون الدواوين، وصالح البربر على الخراج، وعد ارض أفريقية مفتوحة صلحا لا عنوة (أي يدفعون عشر إنتاجهم بدلا من دفع الخراج الذي يصل إلى نصف إنتاجهم)، أما الأراضي التي كانت ملكا للبيزنطيين ومن قاوم التحرير من الأفارقة وغيرهم فقد عدّها مفتوحة عنوة وبذلك استحلوها ، وعدّوا أهلها موالي لهم يتصرفون في شؤونهم[31].

عمد القائد حسان بن النعمان إلى إشراك البربر في جيشه ورغبهم في الغنائم، وعاملهم معاملة جنده الذين قدموا معه في الحقوق والواجبات، وقام بتعيين العمال على الأقاليم كنواب عنه في حالة غيابه[32].كذلك وزع مسؤولية الحكم على القبائل المختلفة بحيث تختص كل قبيلة بناحية، وهكذا دخل المغرب في طور التنظيم السياسي والإداري. ثم بدأ القائد حسان بن النعمان بحفر "البرزخ" الذي يفصل البحيرة عن البحر، ثم حفر قناة عميقة تسير فيها السفن، وهكذا تتصل البحيرة بالبحر وتصبح تونس ميناء بحريا تحميها البحيرة الواسعة من أمواج البحر[33]. كما نظم الجيش وقسمه على الثغور وفرض له العطاء من بيت المال[34]. وأقام العمال في النواحي الإدارية من خراج وزكاة وغيرها[35].وانشأ المساجد في المدن والقرى، وأقام فيها الفقهاء للصلاة والإرشاد[36]، وأقام الحراس في الطرقات لحفظ الأمن، ومهد الطرق للسابلة، واصلح قنوات الري، وجدد بناء مسجد القيروان ووسعه حيث هدمه كله عدا المحراب[37]، وقام بتعليم

البربر اللغة العربية لأنها أساس الدين[38]. كما قام بضرب السكة للمغرب دراهم ودنانير حيث كانوا قبل ذلك يتعاملون بسكة البيزنطيين[39].وبهذه الإجراءات التي شملت مختلف الحياة، اكتملت الأسباب لتكون أفريقية بلدا إسلاميا صرفا، يحكمها عامل لخليفة المسلمين، ويدين أهلها بالإسلام، ويتخذون العربية لغة، أصبحت أفريقية أمة واحدة ذات دين واحد، ولغة واحدة، وحضارة واحدة. ومن هنا يتبين لنا أهمية ولاية القائد حسان بن النعمان في ترتيب الشؤون الإدارية ، والاقتصادية، والاجتماعية، والعسكرية، والعمرانية لولاية أفريقية، وإذ شكلت تلك الإجراءات البذرة الأساس في ضم أفريقية لحضيرة الدولة العربية الإسلامية، واستمر هذا القائد بمنصبه حتى عزل سنة 85 هـ ثم أصبح القائد "موسى بن نصير" والياً على أفريقية وذلك في أواخر خلافة عبد الملك بن مروان، وقام هو الأخر ببعض الأعمال الإدارية حيث أمر البربر بتعلم القران الكريم والتفقه في الدين[40].وأهتم بعمران تونس ووسع دار الصناعة بها، وشق قناة توصل بين الميناء والمدينة ، وأمر بصنع مئة مركب[41]. وكان هذا القائد لا يفرق بين المسلمين والبربر في المناصب الإدارية بل جعلها للأكفاء من الطرفين[42]. وبذلك اكمل القائد موسى بن نصير الإصلاحات والتنظيمات الإدارية التي بدأها القائد حسان بن النعمان، وهكذا تكون الخلافة الأموية قد أرست دعائم الإسلام في هذهِ الولاية القصية عن مركز الخلافة في دمشق بفضل جهود هؤلاء القادة العظام.

حرصت الخلافة الأموية على تعيين ولاتها ممن تتوفر فيهم صفات الشجاعة والكفاءة الإدارية في أفريقية ،وتجلى ذلك عندما تولى الخليفة سليمان بن عبد الملك شؤون الحكم، إذ أستشار من حوله فيمن يوليه الحكم في بلاد المغرب فرشحوا له (محمد بن يزيد)[43].

اتبعت الخلافة الأموية النظام اللامركزي في الحكم فمنحت للولاة صلاحيات إدارية وعسكرية واسعة في المشرق والمغرب ، وتمتع الولاة بهذه الصلاحيات كونهم نواباً عن الخليفة في تسيير شؤون الولاية ، حيث كان الوالي هو رئيس الولاية وقائداً للجيش وإماماً للصلاة باستثناء النواحي المالية التي خصص لها موظف خاص بها سمي (عامل الخراج)[44].

في العصر العباسي الأول لم نجد إلاومضات بسيطة في المصادر عن بعض الإجراءات الإدارية التي قام بها الولاة والأمراء في أفريقية، ففي سنة 144 هـ عين الخليفة أبو جعفر المنصور "محمد بن الأشعث والياً على أفريقية حيث قام ببناء سور لمدينة القيروان سنة 146 هـ لتأمين المدينة من هجمات الأعداء[45]. وفي سنة 155 هـ عين الخليفة أبو جعفر المنصور "يزيد بن حاتم " على ولاية أفريقية ،وقام هذا القائد ببعض الإصلاحات الإدارية منها : نشر الأمن والهدوء في البلاد ، وجدد بناء المسجد الجامع ، ورتب الأسواق وجعل لكل صناعة مكانا خاصاً بها[46]. وهكذا تمكن يزيد بن حاتم من النجاح في إدارة أفريقية ، فضلاً عن نجاحاته في النواحي العسكرية المتمثلة في القضاء على الحركات التي واجهها.

في سنة 178 هـ ولى الخليفة هارون الرشيد على أفريقية عاملاً عربياً من طراز فريد في معدنه هو "هرثمة بن أعين " وكان من أكابر الرجال في بلاط الخليفة هارون الرشيد.

انتهج "هرثمة بن أعين" سياسة حسنة مع السكان وقام ببعض الأعمال العمرانية، إذ جدد ما تخرب من المدن والموانىء والمنشأت ليعيد ثقة الناس بالخلافة العباسية ، وجدد بناء مدينة تونس، وأصلح مسجد القيروان، ونظم الأسواق فيها، وأنشأ سوراً لمدينة طرابلس، وبنى القصر الكبير بالمستنير[47]. وفي سنة 181 هـ عين الخليفة الرشيد محمد بن مقاتل العكي، وهذا التعيين يبرز ناحية مهمة وهي دور العلاقات الشخصية في الموضوع ، فهذا الوالي يرتبط بالخليفة الرشيد بعلاقات قديمة لكونه كان رضيعه في الصغر ، فضلاً عن الخدمات

الجليلة التي قدمها والده مقاتل بن حكيم العكي للعباسيين (48).

شهدت أفريقية عصراً سمي "عصر الولاة " شغل الحقبة الأخيرة من العصر الأموي وإمتد حتى نهاية العصر العباسي الأول تقريباً، وهذه الحقبة تختلف عن الحقبة السابقة ، فحقبة التحرير كان يغلب عليها النشاط العسكري وما يتسم به من إمتداد تارة و إنحسار تارة أخرى ، ولم يستقر المسلمون بأفريقية منذ أن أسس القائد عقبة بن نافع القيروان ،وحتى هذا الإستقرار كان يشوبه بعض الاضطراب ، ولم تثبت أقدام المسلمين فيها إلا بعد جهود القائد حسان بن النعمان. ثم جاء " إبراهيم بن الأغلب " الذي أقام إمارة الاغالبة وانتهى بذلك عصر الولاة ، وتغير الوضع السياسي للمنطقة وبدأ عصر الاستقلال الذاتي ، إذ إستقل إبراهيم بن الأغلب بحكم المنطقة وأورثها أبناءه من بعده وأصبحت المنطقة لا تربطها بالخلافة العباسية سوى الخطبة والدعاء للخليفة العباسي على المنابر، أما السلطة وإدارة البلاد فبقيت بيد "آل الأغلب "، وبقيت هذه الأسرة تدير المنطقة حتى سقطت في يد الفاطميين سنة 297هـ. والجدول المرفق يبين أسماء الولاة الأمويين والعباسيين الذين تولوا حكم أفريقية.

أمراء عصر الولاة 96 ـ 184 هـ

الولاة الأمويون والعباسيون

السنة	اسم الوالي
96	محمد بن يزيد
99	إسماعيل بن الحبحاب
101	يزيد بن أبي مسلم
102	بشر بن صفوان
110	عبيدة بن عبد الرحمن
116	عبد الله بن الحبحاب
123	كلثوم بن عياض
124	حنظلة بن صفوان
127	عبد الرحمن بن حبيب
132	عبد الرحمن بن حبيب
137	الياس بن حبيب
138	حبيب بن عبد الرحمن
144	محمد بن الأشعث
148	الأغلب بن سالم التميمي
151	عمر بن حفص
155	يزيد بن حاتم
170	داود بن يزيد
170	روح بن حاتم
174	نصر بن حبيب
177	الفضل بن روح
179	هرثمة بن أعين
181	محمد بن مقاتل العكي

الادارة في عصر الاغالبة.

بعد أن تولى "إبراهيم بن الأغلب" ولاية أفريقية سنة 184 هـ لم يتنكر للخلافة العباسية، حيث خطب للخليفة العباسي على المنابر، ورفع شعار بني العباس، ولم ينقطع عن دفع الخراج لها، ونقش إسم الخليفة العباسي على السكة، وأنشأ مدينة القصر القديم "مدينة العباسية " التي تقع غرب القيروان، ونقل إليها حرسه الخاص وجنده وزودها بالمؤن والسلاح وإتخذها عاصمة ومقراً للإمارة (49).

شكل الأغالبة في أفريقية إمارة شرعية تابعة للخلافة العباسية في بغداد، وكان هذا نتيجة التحول السياسي الذي حدث سنة184 هـ ، وقد بدأ هذا التحول بعهد أبرم بصورة رسمية بين الخلافة العباسية وآل الأغلب حيث اعترفت الخلافة العباسية لإبراهيم بن الأغلب بلقب أمير لإمارة وراثية ، وله حق الأشراف الكامل على شؤون الإدارة المدنية والعسكرية في إمارته مقابل اعترافه بالسلطة العليا في بغداد (50)0 واستمر أبناءهُ

وأحفادهُ من بعدهُ يتلقبون بلقب "أمير"، ويقوم الخليفة العباسي بإرسال عهد البيعة إلى الأمراء الاغالبة حتى تكتسب إمارتهم الصفة الشرعية ، وهذا يعني إن سلطة الخليفة على أفريقية أصبحت سلطة اسمية لا فعلية ، ذلك ان الخلافة العباسية كانت ترمي من وراء إنشاء هذه الإمارة ودعمها كي تكون سداً مانعاً يقف أمام أطماع العبيديين الذين توجهت أنظارهم نحو مصر.

لم يبق التنظيم الإداري في أفريقية على ما هو في السابق ، فبعد أن تولى الأغالبة الحكم وبسبب حركات التمرد التي قام بها بعض الجند ، وحركات الخوارج المناوئة للخلافة كل هذه الحركات أدت إلى تغيير معالم التنظيم الإداري للمنطقة(51). حيث عمل الأغالبة على تقسيم إمارتهم إلى ثلاثة ولايات رئيسة تتفرع منها مناطق ومدن ثانوية هي:

-إقليم طرابلس: ويمتد من حدود برقة شرقاً إلى نهاية منطقة قابس[52]. ويشمل هذا الإقليم بعض مدن الساحل[53]. ومنها جبل نفوسة وإقليم فزان ومركزها مدينة زويلة[54]. ومنطقة قابس وتمتد حتى حدود ولاية أفريقية[55].

-ولاية أفريقية: وحدودها من قابس حتى مدينة عنابة في الجزائر الحالية[56].ويشمل هذا الإقليم مناطق عديدة منها:- القيروان ومنطقة الجزيرة[57]. ومنطقة قفصة[58]،وتونس ومنطقة الساحل وإقليم قسطيلية[59].

-ولاية الزاب: وهو إقليم واسع يضم الأقسام التالية: بجاية وتجس وميلة وسطيف[60]. وبلزمة ونقاوس وأربة[61].

-ولاية صقلية: وهذه الجزيرة ضمت إلى الإمارة الأغلبية بعد فتحها من قبل الأمير(زيادة الله الأول) سنة 212هـ، وضمت هذه الولاية الأقسام التالية بالرمة وسرقوسة[62].

إن هذه الإمارة التي شكلها الأغالبة في أفريقية برضا وموافقة الخلافة العباسية كان لابد لها أن تكمل الجانب الإداري ، فلا يكفي التقسيم السابق للإمارة لكن الأغالبة إحتاجوا إلى القسم الأهم لإدارة إمارتهم وذلك من خلال إرساء دعائم التنظيم الإداري لديهم من خلال إنشاء المؤسسات الإدارية التي تشمل ما يلي:-

-الأمير: ويمثل أعلى سلطة مدنية في الإمارة ، وسبق أن ذكرنا أن بيده شؤون الإدارة المدنية والعسكرية.

-الوزير: لا توجد إشارات في المصادر عن منصب الوزير في أفريقية قبل عهد الأغالبة ، وعلى ما يبدو ان الأغالبة عرفوا هذا المنصب وهذا ما يؤكده ابن عذارى وابن الأثير[63]. وقد عد الوزير المعاون والمساعد للأمير في تأدية مهام عمله ، ولم يقتصر عمل الوزير على النواحي الإدارية ، بل قام بعض الوزراء بمهام قيادة الجيوش للقضاء على حركات التمرد[64]. كذلك عملوا كمستشارين للأمير، وأسندت إليهم مهام مقابلة الوفود، وهذا ما يفسر إسناد الأمراء الأغالبة هذا المنصب إلى الشخصيات المرموقة والمقربة من الأمراء الأغالبة.

-الحجابة: وهي من الوظائف الإدارية المهمة ، ومهمة الحاجب هي تنظيم دخول الناس على الخليفة أو الأمير أو الوالي ، ويظهر ان هذه الوظيفة وجدت في بلاد المغرب منذ بداية عمليات التحرير ، وهذا ما أشار إليه ابن عذارى في زمن القائد عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة 27هـ[65]. كذلك إشارة الرقيق عن الوالي حنظلة بن صفوان سنة 124هـ[66]. وهكذا نجد ان منصب الحاجب كان موجوداً في بلاد المغرب قبل عهد الأغالبة ، واستمر الحال ذاته في عهد الأغالبة الذين خولوا حجابهم بعدد من الصلاحيات منها :

*يشرف الحاجب على الحرس الخاص للأمير[67].

*يقوم الحاجب بقيادة الجيوش[68].

*يتولى الحاجب ولاية المناطق المضطربة[69].

*يستشار الحاجب في شؤون الأمارة[70].

يستشف مما سبق تمتع الحاجب بمهام وصلاحيات متنوعة ، وهي ان دلت على شيء إنما تدل على مدى قدرة وإمكانية هؤلاء الحجاب من جهة، ومدى ثقة الأمراء الأغالبة بحجابهم من جهة أخرى، وهذا يدعونا إلى التأمل في هذه الصلاحيات ،فمهام كقيادة الجيش في

مناطق لا تتمتع باستقرار دائم يعني ان جل هؤلاء الحجاب أو على الأقل أغلبهم هم من المقربين من الأمراء بل وربما من آل الأغلب تحديداً.

-الكتابة: ظهرت الكتابة في بلاد المغرب منذ بواكير عمليات التحرير العربي الإسلامي لها ، واستمر الحال ذاته في عهد الأغالبة[71]. وتمتع الكتاب في عهد الأغالبة بصلاحيات منها : توزيع الأموال التي يأمر بها الأمير ، كما كان الأمراء الأغالبة يستشيرون كتابهم في أمور الإمارة[72].

-الوالي: تعود هذه الوظيفة إلى حقبة التحرير العربي الإسلامي لبلاد المغرب ، وهؤلاء هم عمال الأقاليم حيث كان الوالي يتخذ لنفسه عمالاً يساعدونه في تسيير أمور الولاية ، إذ كان على كل قسم من أقسام بلاد المغرب عامل ينوب عن والي المغرب ومركزه قاعدة الإقليم المعين فيه، وقد يكون الوالي من القادة العسكريين لضبط الأمور في الأماكن التي تشهد حركات تمرد وعصيان[73]. أما في عهد الأغالبة فقد حرص هؤلاء على تولية أشخاص من ذوي الكفاءة والشجاعة[74]. كما كان الأمراء الأغالبة يجزلون العطاء لولاتهم حتى لا يضطهدوا السكان من جانب ، وضمان عدم تمردهم وعصيانهم من جانب أخر[75].

-صاحب الشرطة: حرص ولاة المغرب على إختيار مجموعة من الحراس لحفظ الأمن والنظام[76]. وفي عهد الأغالبة حظي جهاز الشرطة باهتمام كبير[77]. كما أدخل الأمراء الأغالبة نظام العسس إلى بلاد المغرب[78].ومهمة العسس هي التجوال الليلي في الطرق لحفظ أرواح الناس وممتلكاتهم.

أما المؤسسات الإدارية الأخرى ومنها الدواوين فتعود نشأتها إلى مرحلة التحرير العربي الإسلامي، حيث كان القائد حسان بن النعمان أول من دون الدواوين في أفريقية[79].

أما أهم الدواوين التي أستخدمت في بلاد المغرب فهي:

1-ديوان الجند: إستحدث هذا الديوان بعد دخول الجيش العربي الإسلامي للبلاد زمن القائد حسان بن النعمان[80]. وأسس هذا الديوان لإستيعاب العدد الكبير من الجند الداخلين إلى بلاد المغرب ، وفي عهد الأغالبة وسع هذا الديوان وطور حيث أضافوا إليه أسماء المقاتلين من المغرب وقبائل العرب المشاركة في عمليات التحرير[81]. وتشير النصوص إلى ان الأمراء الأغالبة فرضوا غرامة مالية على الهاربين من الخدمة العسكرية[82]. كما ان الأمراء الأغالبة كانوا يشرفون على توزيع عطايا الجند[83].

2-ديوان الخراج: إستحدث هذا الديوان أيضاً في زمن القائد حسان بن النعمان[84]. وكانت تقع على عاتق عمال الخراج مسؤولية جمع الأموال وضبطها ، وأسندت هذه الوظيفة إلى العمال الثقاة لقبض ما جمع من مبالغ ، ويكون العامل مسؤولاً عن هذه الأموال أمام الخليفة مباشرة[85]. وفي عهد الأغالبة حظي هذا الديوان باهتمام خاص حيث إعتمد الأغالبة على الثقاة حتى من غير العرب إذ كلف (سواد النصراني) مهام رئاسة هذا الديوان[86].

3-ديوان الرسائل: أنشأ هذا الديوان لضرورات عمليات التحرير العربي الإسلامي ، من أجل أن يكون الاتصال ما بين مركز الخلافة في بغداد وبلاد المغرب يسيراً فقد كان لصاحب البريد مجموعة من العمال يساعدونه في عمله[87]. كما تركز عمل البريد في بلاد المغرب لخدمة الخلافة فقط ، واستمر الحال كذلك أيام الأمراء الأغالبة حيث إستخدموا الحمام الزاجل في نقل رسائلهم فضلاً عن الطرق البرية[88]. كما تم استخدام سلسلة من النيران التي توقد في مكان معين كدليل لتعرض هذا المكان أو المدينة إلى خطر خارجي[89].

أما الدواوين التي أستحدثت في عهد الأغالبة فهي:

1-ديوان الطراز: وهو الديوان الخاص بصنع الملابس الرسمية وشارات الإمارة[90].

2-ديوان الخاتم:- وهو الديوان الذي تطبع فيه السجلات والرسائل التي تخرج من المؤسسات الإدارية[91].

وهناك المؤسسة القضائية التي تشتمل على ما يلي:

1-القضاء: إستحدث هذا المنصب في بلاد المغرب منذ حقبة مبكرة ، والسبب في ذلك هو إرتباط القضاء بالدين الإسلامي من خلال التشريع الوارد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فضلاً عن حل الخصومات والدعاوى التي تحصل. ووجود هذا المنصب يعود إلى فترة تولي القائد موسى بن نصير ولاية المغرب سنة 86هـ[92]. وقد إتبع ولاة المغرب النهج نفسه الذي ساد في المشرق من تطبيق الأحكام الشرعية ، والفصل في الخصومات بين الناس وفقاً لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ثم القياس وأخيراً الاجتهاد[93]. وبشكل عام يجلس القاضي في المسجد بمدينة القيروان ، ثم ان القضاة مارسوا عملهم بكل تفانٍ واخلاص حرصاً منهم على تطبيق العدالة وإنصاف المظلوم. ولم يقتصر عمل القضاة على حل المنازعات ، بل شاركوا في النشاط السياسي من خلال إرسال مبعوثين إلى مركز الخلافة لشرح أوضاع المنطقة[94]. كما أسند إلى بعض القضاة مهام إدارة الولاية عند ذهاب الوالي في مهمة رسمية ، أو ترؤس حملة عسكرية لمحاربة الخوارج[95].

أما في عهد الأغالبة فقد بقيت مؤسسة القضاء مرتبطة بالخلافة التي تقوم بمهمة تعيين القضاة في الولايات ، ولكن فيما بعد أصبح الأمراء الأغالبة هم من يقوم بتعيين القضاة[96].

2-النظر في المظالم: هي مؤسسة تابعة إلى القضاء ، واسندت هذه المؤسسة إلى والٍ مستقل وهي تشبه ما يسمى اليوم بمحكمة الاستئناف[97]. وبعد عمليات التحرير نهض بهذه المهمة الولاة أنفسهم، أما في عهد الإمارة الأغلبية أصبح لها قاضٍ خاص بها (98). وكان يعمل مع صاحب المظالم عدد من الموظفين[99]. وينظر في أحوال الأسواق والموازين والمكاييل وغيرها من الأمور الأخرى.

3-الحسبة: وهي محاسبة كل من يرتكب عملاً مخالفاً بأي شكل من الأشكال من الغش والتدليس وغيرها. والراجح ان مهمة المحتسب كانت من اختصاص الولاة[100]. وبقي الأمر كذلك في عهد الأغالبة.

ساد الأمن في عصر الأغالبة ، و ازدهرت، الزراعة ، وانتظمت وسائل الري ، وأنشئت المدن، وظهرت الصناعات " وخاصة النسيج " ونشطت الحركة التجارية في الموانيء ، وانصرف الأمير للأعمال العمرانية فجدد مسجد القيروان ، وانشأ المساجد في سوسة وصفاقس ، وأقام الأسواق والحصون حول المدن وعلى السواحل ، وبنيت السدود والأحواض في جميع أنحاء البلاد لجمع مياه الأمطار ، وإنتظم التعليم في الكتاتيب ، وتكونت المكتبات العامة الأدبية والعلمية، وأُنشأ بالقيروان معهداً للدراسات العلمية سمي "بيت الحكمة " على غرار ما كان موجوداً في بغداد ، لذا يُعد عصر الأغالبة عصر نهضة إقتصادية وعمرانية وفكرية تركت أثاراً عميقة في بلاد أفريقية[101]. وفي سنة 202هـ تولى الإمارة " زيادة الله إبراهيم بن الأغلب " وقام ببعض الأعمال العمرانية ، حيث قام ببناء مسجد بالقيروان ، ومسجد عقبة ، وبناء قنطرة ابن الربيع ، وبناء حصن سوسة ، كما إهتم بإسناد الوظائف إلى من يحسن القيام بها[102].وفي سنة 242 هـ تولى الإمارة " أحمد بن محمد بن الأغلب " بعهد من الخليفة المتوكل ، وأقيمت في عهده الكثير من المشروعات ، حيث بنى المساجد والقناطر ، وبنى بأفريقية حصوناً كثيرة بالحجارة والكلس وأبواب الحديد ، واشترى العبيد واتخذهم جنوداً[103]. وفي سنة 261 هـ تولى الإمارة " إبراهيم بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب " في خلافة المعتمد ، واهتم إبراهيم بالأمن ، فأمن الطرق التجارية، وبنى الحصون ، وبنى مدينة " رقادة " (104)0 سنة 263هـ ، وأكمل بناء القصر المعروف " الفتح"[105]. وفي عهد " زيادة الله بن عبد الله بن الأغلب " سنة 290 هـ قوي أمر عبد الله الشيعي " القائم بالدعوة الفاطمية " ، في حين كانت أحوال الأغالبة تسير من سيء إلى أسوأ ، وبدأت المدن تتساقط في يد عبد الله الشيعي وأحجم الناس عن نصرة الأمير زيادة الله[106]

الذي فرَّ إلى مصر ، وانتهت إمارة الأغالبة بعد أن حكمت 112 سنة.

الخاتمة.

إن ظهور أمارة الأغالبة في تونس ، واستمرارها في حكم المنطقة لحقبة زمنية امتدت لأكثر من قرن من الزمان ، افرز نتائج مهمة على الصعيد الإداري ، حيث نظمت المنطقة إداريا بفعل إجراءات بني الأغلب وتمثل ذلك في إشاعة الأمن والاستقرار ، والعمران ، وإقامة الموانيء ، وبناء الأساطيل ، وتنشيط التجارة ، وتعريب المنطقة لغة ودينا ً، وغدت أفريقية مركزاً للحضارة الإسلامية. وقبل ذلك كان عصر الولاة الذي شهد هو الآخر أعمالاً إدارية وعمرانية ، ورغم ذلك وجدنا أن المصادر لم تشر كثيراً إلى النواحي الإدارية ، عدا بعض الإجراءات المحدودة التي كانت مقترنة بزمن الهدوء والاستقرار في المنطقة ، وهذه بدورها مدد قليلة نظراً لما شهدته المنطقة من حركات واضطرابات متوالية قام بها البربر .

إن قمة الترتيبات الإدارية في المنطقة هي ما قام به القائد " حسان بن النعمان " ، التي شكلت البذرة الأولى في سلم التنظيمات الإدارية للمنطقة ، وفي ضوئها وهديها تلتها تنظيمات أخرى لاحقة ، ومن المؤكد أن هذهِ التنظيمات تعتمد في أسسها على نهج الدولة العربية الإسلامية ، وما كان مطبقاً في حاضرة الخلافة ، مع مراعاة الظروف المحلية لهذا الإقليم.

هوامش البحث:

1.مؤنس ، حسين ، فتح العرب للمغرب ، مطبعة ألآداب ، (القاهرة ، بلا)،ص20.

2. بجاية : مدينة على ساحل البحر بين أفريقية والمغرب كانت قديماً ميناءاً فقط ثم بنيت المدينة (ياقوت ، شهاب الدين بن عبد الله الحموي (ت626هـ)، معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر، (بيروت، 1955م)، ج1،ص317.

3.سالم ، السيد عبد العزيز ، المغرب الكبير ، الدار القومية للطباعة والنشر ، (القاهرة ، 1966)،ج2،ص125.

4.ياقوت ، معجم البلدان ، ج2 ، ص60-61.

5. باجة : مدينة بأفريقية كثيرة الأنهار وهي على جبل يقال له عين الشمس. ينظر : ياقوت ،معجم البلدان،ج1،ص314.

6. بنزرت : مدينة بأفريقية بينها وبين تونس يومان وهي من نواحي شطفورة مشرفة على البحر. ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، ج1 ، ص499-500.

7. صفاقس : مدينة من نواحي أفريقية جل غلتها زيتون وهي على ضفة الساحل. ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، ج3 ، ص223.

8. سوسة : مدينة صغيرة بنواحي أفريقية بينها وبين صفاقس يومان. ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، ج3 ، ص282.

9. الصفاقسي ، محمد بن سعيد ، نزهة الأنظار في عجائب التاريخ والأخبار ،(تونس 1321هـ) ، ج1 ، ص9.

10.مجهول (كاتب مراكشي من كُتاب القرن السادس الهجري) ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، مطبعة جامعة الإسكندرية (الإسكندرية 1958 م)،ص121.

11. ابن عذارى ، أبو العباس أحمد بن محمد (ت712 هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ليفي بروفنسال وج س كولان (ليدن ،1948)،ج1 ،ص8.

12.ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد (ت257 هـ) ،فتوح مصر والمغرب ، مطبعة لجنة البيان العربي ،(القاهرة ، بلا)،ص173.

13.الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310 هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المعارف (القاهرة ، 1979) ج1 ، ص442.

14. ابن تغري بردي ،جمال الدين أبو المحاسن (ت 874 هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية (القاهرة 1951) ج1 ،ص80.

15. البلاذري ، أبو الحسن احمد (ت 279 هـ) فتوح البلدان ، مطبعة الموسوعات (القاهرة ، 1901) ، ص232.

16.ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ) ، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت 1971) ، ج 4 ، ص 186.

17. موسى، نوال تركي،التنظيمات الإدارية و المالية في عهد الاغالبة ،رسالة ماجستير غير منشورة (بغداد ، 1989) ، ص 109.

18.ياقوت ، معجم البلدان ، ج1 ، ص100.

19. المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346 هـ)، مروج الذهب و معادن الجوهر ، دار الأندلس للطباعة (بيروت ، 1965) ج 2 ، ص 119.

20. ياقوت ، معجم البلدان ، ج1 ، ص228.

21. ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 102.

22.موسى ، التنظيمات ، ص 115.

23.السلاوي ، ابو العباس احمد بن خالد (ت 1315 هـ) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ،(الدار البيضاء ، 1954)،ج 1 ،ص43 .

24. طه ، عبد الواحد ذنون ، الفتح و الاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا و الأندلس ، جامعة الموصل (الموصل ، 1982) ص 119.

25.ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص 546 .

26. ابن عذارى ، البيان ، ج 2 ، ص 18 .

27. سالم ، المغرب الكبير ، ج2 ، ص179 .

28. ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج1 ، ص6.

29.م. ن ، ج1 ، ص 21 .

30. موسى ، التنظيمات ، ص 99 .

31. حسن ، حسن علي ، تاريخ المغرب العربي ، مكتبة الشباب ،(مصر ، بلا) ، ص 30 .

32. ابن الأثير ،أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم، (ت 630 هـ) الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي، (بيروت ، 1967)،ج 1 ، ص 442 .

33. ابن أبي دينار ، أبو عبد الله محمد بن القاسم (كان حياً سنة 1092 هـ) ، المؤنس في أخبار أفريقيا و تونس ، المكتبة العتيقة (تونس، 1967) ، ص 33 .

34. سالم ، المغرب الكبير ، ج2 ، ص111 .

35. مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص 276 .

36. سالم ، المغرب الكبير ، ج2 ، ص111 .

37. م . ن ، ج 2 ، ص 111- 114 .

38. م . ن، ج 2 ، ص 118 .

39. م . ن ، ج 3 ، ص 100 .

40. ابن عذارى ، البيان ،ج1، ص36 . ابن خلدون ، العبر، ج6، ص110.

41.ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، (ت276هـ)،الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد (القاهرة 1967) ، ج2،ص70.

42.مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، الشركة العربية للطباعة و النشر (القاهرة 1959) ،ص100 . 43 ؛الرقيق ، أبو العباس إبراهيم بن القاسم (ت 447 هـ) ، تاريخ أفريقية و المغرب ، تحقيق : المنجي الكعبي ، (تونس ، 1963)،ص 93 .

44.موسى ، التنظيمات ، ص 103- 104 .

44.السلاوي ، الاستقصا ، ج 1 ، ص 75 - 77 .

45.الرقيق ، تاريخ أفريقية ، ج1 ، ص79 ؛ ابن عذارى ، البيان ،ج1 ،ص79 .

46.ابن عذارى ، البيان ، ج 1 ، ص 89 .

47.ابن الأثير ، الكامل ، ج 6 ، ص 154 .

48.ابن عذارى ، البيان ، ج 1 ، ص 119 .

49.عبد الوهاب ، حسن حسني ، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية ، مكتبة المنار (تونس، 1072) ص 428 .

50.موسى ، التنظيمات ، ص 119 .

51.ياقوت ، معجم البلدان ، ج 1 ، ص 217 .

52.مجهول ، الاستبصار ،ص110.

53.اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب ، (ت 284 هـ) ، البلدان ، وضع حواشيه : محمد أمين ضناوي ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 2002) ص 98-99 .

54.م . ن ، ص 99 .

55.م . ن ، ص 100 .

56.ياقوت ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 136 .

57. اليعقوبي ، البلدان ، ص 102 .

58. م . ن ، ص 101- 102 .

59. م . ن ، ص 102 -103 .

60 . م . ن ، ص 102-103 .

61ـ م. ن ، 102- 103؛المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن احمد (ت 380 هـ)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل (ليدن ، 1909) ص 231؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج3، ص214.

62. ابن الأثير ، الكامل ، ج 6 ، ص 331 . ابن عذارى ، البيان ، ج 1 ، ص 96 -97 .

63.ابن الأثير ، الكامل ، ج 6 ، ص 331 .

64. ابن عذارى ، البيان ، ج 1 ، ص 11 .

65. الرقيق ، تاريخ أفريقية ، ص124.

66.ابن عذارى ، البيان ، ج 1 ، 130 .

67. م . ن ، ج 1 ، 118 .

68. م . ن ، ج 1 ، ص 141 .

69.موسى، التنظيمات ، ص 141 .

70. الرقيق ، تاريخ أفريقية ، ص 20 .

71. موسى ، التنظيمات ، ص 144 . 145 .

72. ابن عبد الحكم ، فتوح ، 64 ؛ الرقيق ، تاريخ أفريقية، ص162

73. ابن الأثير ، الكامل ، ج 6 ، ص 157 ؛ ابن عذارى ، البيان ، ج 1 ،ص95.

74. ابن خلدون ، العبر ، ج 4 ، ص 200 .

75. الرقيق ، تاريخ أفريقية ، ص 124.

76. م . ن ، ص 232-234.

77 . ابن عذارى ، البيان ، ج 1 ، ص 144 .

78. ابن عبد الحكم ،فتوح ، ص 264 . الرقيق ، تاريخ أفريقية ، ص 64 . السلاوي ، الاستقصا ، ج 1 ، ص 43 .

79. الرقيق، تاريخ أفريقية،ص64؛ابن الأثير،الكامل،ج4،ص372؛ابن خلدون،العبر،ج6،ص109.
80. ابن الأثير ، الكامل ، ج 6 ، 156.
81 . ابن عذارى ، البيان ، ج 1 ، ص 130 .
82. ابن الأثير ، الكامل ، ج 6 ، ص 270 .
83. ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص 64 . 65 .
84. ابن عذارى ، البيان ، ج 1 ، ص 136 .
85. م . ن ، ج 1 ، ص 122 .
86. قدامة ، بن جعفر الكاتب (ت337ه)، الخراج وصناعة الكتابة ،تعليق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر(بغداد1981) ،ص110.
87. ابن عذارى ، البيان ، ج 1 ، ص 124 .
88. ابن الأثير، الكامل ، ج 7 ، ص 211 ؛ ابن خلدون ، العبر، ج 4 ، ص 201 .
89. ابن عذارى ، البيان ، ج 1 ، ص 129.
90. م . ن ، ج 1 ، ص 133 .
91. موسى ، التنظيمات ، ص171 .
92. م . ن ، ص 173 .
93. ابن خلدون ، العبر، ج 4 ، ص 192 .
94. الرقيق ، تاريخ أفريقية ، ص 113 .
95. ابن عذارى ، البيان ، ج 1، ص 97 .
96. موسى ، التنظيمات ، ص 191 .
97. ابن الأثير، الكامل ، ج 7 ، ص 284 ؛ابن خلدون ، العبر، ج 4 ، ص 203 .
98. ابن عذارى ، البيان ، ج 1 ،ص95.
99. م . ن ، ج 1 ، ص 78.
100. ثامر، الحبيب ، هذه تونس، مطبعة الرسالة (القاهرة 1948).
101. ابن عذارى ، البيان ، ج1، ص102-105.
102. م. ن ج1، ص113.
103. ياقوت ، معجم البلدان ، ج3 ، ص 55.
104. ابن عذارى ، البيان ، ج1، ص 117.
105. م .ن ج1 ، ص 102. 105 0
106. م. ن، ص 105.

الحركة الفلاحية والعمالية ودورها في الاحداث السياسية الروسية 1905-1914



د. ايناس سعدي عبد الله
كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

ملخص:

كانت روسيا اوائل القرن العشرين دولة اوتوقراطية، استبدادية، تحت حكم ال رومانوف[1]،وبدأت تشهد تطورا صناعيا كان له ابعاد خطيرة في تاريخها. كانت الثورة الصناعية التي بدأت في روسيا اواخر القرن التاسع عشر، اثر كبيرا في نمو الطبقتين الوسطى(البرجوازية)، والعاملة(البروليتارية)، الامر الذي ادى الى خلق مشاكل كثيرة للأوتوقراطية الروسية. لذلك بذلت القوى الرجعية جهودا كبيرا لعرقلة التطور الصناعي، لأنه يؤدي الى ظهور مجتمع مدني مناوئ لها، وللحياة الريفية، التي تعتمد عليها، ويؤكد عليها بشكل خاص اصحاب التقاليد السلافية. وظهرت في المجتمع الروسي عدة حركات أو جماعات معارضة لسياسة الحكومة الرجعية، واخذت الطبقة الوسطى تعتقد ان الاوتوقراطية مضرة بمصلحتها، ان لم تحدد سلطتها، وتؤسس حكومة دستورية تمثلها[2]. كما ان بروز طبقتي العمال والفلاحين خلال سنوات 1901-1903 كان له اثر كبير في اندلاع الثورة الروسية عام 1905.

[1]) ال رومانوف: عائلة روسية ليتوانية استقرت في روسيا في القرن السادس عشر وحكمت روسيا بين 1613-1917 عندما قضت عليها الثورة الروسية، وقتل غالبية افرادها، وهرب الباقون الى اوروبا. وسميت رومانوف نسبة الى احد اعضائها رومان الذي عاش في القرن السابع عشر. انظر: عبد الوهاب الكيالي(تحرير)،موسوعة السياسة،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1981)،ج2،ص856.

[2]) محمد محمد صالح،تاريخ اوروبا الحديث،(بغداد:مطبعة شفيق،1968)،ص121-122.

اولا: ثــورة 1905-1907 ودور العمــال والفلاحين فيها.

1.اسباب الثورة.

-ســوء الاوضــاع الاقتصــادية وانعكاســاتها علـى الشعب الروسي:

كانـت هـذه الثـورة مـن حيـث طابعهـا ثـورة برجوازية ديمقراطية، مهمتها الرئيسية تصفية بقايا نظـام القنانـة(3) الـذي كـان يشـل اقتصـاد الدولـة، ونظامها السياسي، ويعرقل التطور اللاحق للبلاد. اذ ضيقت هذه البقايا على السوق الداخلية، واعاقت تطـور الصـناعة، وفرضـت على البروليتاريـة اقسـى اشـكال الاسـتثمار الرأسـمالي. وكانـت اهـم بقايـا الاقطاعية هي الابقاء على ملكية الملاكين العقاريين للأرض، ووجود الممتلكات الاقطاعية الضخمة، وكان القيصـر الروسـي يشـير صـراحة بانـه: "سـيد الارض الروسية"، الامر الذي ادى الى تقليل مساحة اراضي الفلاحين، والى اساليب استثمار الفلاحين التي تشبه اسـاليب اسـتثمارهم في ظـل القنانـة، كمـا ادى الى ركـود الزراعـة، وافقـار وافـلاس الجمـاهير. وكانـت ظروف الفلاحين عصيبة جدا، اذ كانوا يعانون من قلة الاراضي، فنحـو 10,5 ملايين عائلة فلاحية كانت تملك من الاراضي بقـدر ما يملك 30 الـف اقطاعي، وكان ذلـك يعرقـل تطـور القـوى المنتجـة في الريـف، وبشـكل عـام كانـت الزراعـة متخلفـة، وكانـت فلاحـة الارض تجـري بـأدوات بدائيـة. ولهـذا الاسـباب كانـت المسألة الزراعية أي تصفية ملكية الملاكين العقاريين لـلأرض، وتوزيـع الاراضي على الفلاحـين، هي اهـم مسـألة بالنسـبة للثـورة الروسـية. وكانـت جمـاهير واسـعة مـن سـكان الـبلاد ترغـب في تصـفية نظـام الحكم المطلق اذ كانت القيصرية تقف على حراسة انظمـة القنانـة معتمـدة علـى عـدد مـن الملاكـين العقاريين، وعلى البيروقراطية، وكانت تعرقل تطور القـوى المنتجـة، وحكمـت علـى الجمـاهير بـالفقر، والجهل، وكثرة الضرائب(4).

مـن جانـب اخـر كانـت روسـيا علـى مسـتوى متوسـط من التطور الرأسمالي، المرتبط في كثير من وجوهـه مـع بقايـا نظـام الاقطـاع والقنانـة. الا ان روسيا بشكل عام ظلت بلدا زراعيا بالرغم من تطور الصـناعة بسـرعة نسـبيا. وكـان العمـل يسـتمر 10 سـاعات أو يزيـد، في وقـت كانـت الاجـور علـى اوطـأ مستوى. والى جانب التخلف النسبي كانت الصناعة تتميز بدرجة عالية من تركز العمال، اذ ان اكثر من 36% من مجموع العمال كانوا يعملون في مؤسسات يزيـد عـدد عمـال كـل منهـا علـى 1000 شـخص. وكـان انعـدام حقـوق الشـغيلة السـمة المميـزة للنظـام السياسي في روسيا(5).

---

(3) القنانـة: نظـام اجتمـاعي يـرتبط بـالفلاحين الـذين عرفـوا بالأقنان أو عبيد الارض الذي كان يعيش على قطعة من الارض يمنحها اياه أو يملكها السيد الاقطاعي، وكان هذا القن يمتلك هـذه الارض أو تـؤجر لـه مدى الحياة مقابل ان يمنحه السيد الاقطاعي حمايته العسكرية، وفي نظير ذلك يؤدي لـه القن اجرا سـنويا من الغلال أو العمل أو المال. والقن مربط بالأرض، ولا يملك حرية الانتقال منها. وللمالك الحق في طرده متى شاء، واذا مات هذا القن فلا تنتقـل قطعـة الارض الـى ورثتـه الا بموافقـة السـيد الاقطاعي. انظر: محمد سعيد عمران، حضارة اوروبا في العصـــور الوسطى،(الاســـكندرية: دار المعرفـــة الجامعية،1998)،ص63.

(4) بيـوتر يبيفـانوف وايفـان فيدوسـوف،تاريخ الاتحـاد الســوفيتي، ترجمــة: خيــري الضــامن ونقــولا الطويل،(موسكو: دار التقدم، بلا. ت)،ص490؛ليلتشـوك واخرون،مـوجز تـاريخ المجتمـع السوفييتي،(موسـكو:دار التقدم،1973)،ص5-6.

(5) ليلتشـــوك واخرون،مـــوجز تـــاريخ المجتمـــع السوفييتي،ص6-7.

-السياسة الاستبدادية للحكومة وفشل محاولات الاصلاح:

كان النظام القيصري الروسي نظاما استبداديا، وكان القيصر يمثل السلطة العليا في البلاد، ويحكم بموجب نظرية التفويض الالهي، وذلك يتضح جليا في صيغ البيانات القيصرية التي تبدأ عادة بعبارات نمطية: "نحن ظل الله على الارض، امبراطور عموم روسيا..."، أو: "بتكليف من العلي العظيم اسهر على خير الوطن..."[6].

كانت السياسة الرجعية المعادية للشعب هي السمة البارزة للنظام السياسي، وساد البلاد ظلم قوات الشرطة، والرشوة، فبرزت ضرورة ملحة لتصفية الحكم المطلق، واقامة نظام دستوري، ومنح الشعب الحقوق السياسية، والحريات الديمقراطية، وحرية الكلام والنشر والاجتماعات والمعتقدات الدينية. وحركت الثورة جماهير واسعة من الشعب الروسي، فضلا عن القوميات العديدة الداخلة في الامبراطورية الروسية ضغطين: فمن جانب الاقطاعيين والرأسماليين، ومن جانب اخر القيصرية الروسية والبرجوازية، كما خنق الحكم المطلق الثقافة القومية، وزرع الكراهية بين الشعوب، وشجع اكثر اشكال النهب الاستعماري وحشية. وكانت البروليتارية هي الطبقة الاكثر ثورية في النضال ضد الحكم المطلق، وصاحبة المبادرة، وقائد الثورة، بسبب ظروف العمل الشاقة لقاء الاجور المنخفضة، واضطهاد السلطات للطبقة العاملة، وانعدام الحقوق السياسية. وكانت البروليتارية ذات مصلحة في انتصار الثورة البرجوازية الديموقراطية من اجل الغاء الحكم المطلق، واقامة نظام برجوازي ديموقراطي هو

[6]) المصدر نفسه،ص5.

الطريق لقيام الاشتراكية[7].واسهمت السياسة الحكومية تجاه القوميات الاخرى الى تزايد السخط من النظام الحاكم، وكانت التيارات القومية في داخل روسيا اثر كبير في تأجيج السخط في انحاء البلاد، ففي فنلندا سعت الحكومة القيصرية هناك على ضرب التيار القومي فيها، واصبحت اللغة الروسية في عام 1891 لغة اجبارية في المراسلات الرسمية. ودعم القيصر نيقولا الثاني تلك السياسة، بل ذهب الى ابعد من ذلك عندما عين على فنلندا حكومة برئاسة الجنرال بوبريكوف الديكتاتور الرهيب، وخوله جميع السلطات لإخماد اي نهضة قومية، وهكذا تم حل الجيش الفنلندي، واصبحت اللغة الروسية هي اللغة الوحيدة المستعملة في الادارة، وتحولت فنلندا الى مجرد اقليم شأنه شأن بقية الاقاليم الروسية، بعد ان كانت في السابق دولة اتحادية مع روسيا. الا ان تلك الاعمال القمعية لم تؤد في الواقع الا الى زيادة حدة نضال الفنلنديين من اجل التحرر[8].وفي عام 1904 تم اغتيال الحاكم العام الروسي بوبريكوف على يد وطني فنلندي اقدم على الانتحار بعد فعلته هذه تاركا رسالة يوضح فيها ان عمله هذا كان يعود الى رغبته في لفت انتباه القيصر الى المعاملة القاسية التي تلقاها بلاده على يد المسؤولين الروس. وتركت تلك الحادثة صدى واسعا في ارجاء الامبراطورية، وتعالت الاصوات المنادية بالإصلاح، تحركها قوى المعارضة للحكم الاستبدادي، التي تجلت بين الطبقات الوسطى، والعاملة في المدن. وسرعان ما

[7]) يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص490.

[8]) عبد الوهاب الكيالي (تحرير)،موسوعة السياسة،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1985)،ج4،ص605-606.

تنوعت بين جمعيات المهندسين، واكاديميات العلوم، ونوادي المحامين، والاتحادات التجارية، ومجالس البلدية، بغية الحصول على الحرية السياسية[9]. وكانت بولندا شهدت في فترة ما بعد 1864 ثورة صناعية متقدمة، وكان ذلك احد الاسباب التي ادت الى ظهور حركة اشتراكية صغيرة فيها عام 1892، التي ادت بدورها الى اشتراك الشعب البولندي في ثورة 1905[10].

ومما زاد من الضغط السياسي الداخلي هو وجود (فياجسلاف بلهفه) الذي كان يشغل منصب وزير الداخلية، ومن مؤيدي سياسة القيصر الاستبدادية في روسيا. فعمل على نشر شبكة من الشرطة السرية في كافة انحاء روسيا، شملت الصفوف الدراسية، ومكاتب المحاسبة، والورش، والنوادي، والدوائر العامة. بل تعدى الامر حتى في الدول الاجنبية التي يتجمع فيها اللاجئون الروس، وفي المجالس السرية للجمعيات الثورية. ففي عام 1903 كان هناك اكثر من اثنتي عشر الف قضية سياسية، وحوالي خمسة الاف مسجون ومنفي من دون محاكمات عادلة، وكان ذلك جزء من سياسة بلهفه الرامية الى اثارة البغضاء والمشاحنات العرقية والدينية بين ابناء الشعب الروسي من اجل جرهم بعيدا عن النشاط الثوري. واليه يعود انتشار روح القسوة البربرية في النظام البيروقراطي، فعزم الثوريون السياسيون على اغتياله فتم ذلك في 28 تموز 1904، وبذلك اسدل على اليد الضاربة للقيصر الروسي وهو ما عبر عنه الثوريون من انه كان الوسيلة الوحيدة المتروكة امامهم في مقابلة عنف الطغاة بقوة الحق الثوري[11].

اختار القيصر خلفا لبلهفه رجلا ذو شعبية، وفكرا متحررا، ارستقراطيا، وهو الامير سيفاتوبولك ميرسكي، الذي حاول انقاذ الدولة عن طريق اقناع القيصر لإلغاء عقوبة الجلد بالسياط، والغاء الرقابة على الصحافة لفترة قصيرة. كما شجع ميرسكي العنصر المعتدل بين الخصوم المناوئين للحكومة، لأحداث نوعا من التفاهم بين الدولة والشعب. وبموجب ذلك تألف وفد من الزيمستوفس(المجالس البلدية)، اجتمع مع الحكومة في بطرسبورغ في شباط 1905 لمناقشة الاصلاحات الضرورية، وفي النهاية تم التوصل الى كتابة التماس الى القيصر مفاده: ان النهج البيروقراطي هو السبب في ابعاد عامة الشعب عن العرش، وانه لأجل استعادة الشعور الجيد بين الشعب والحكومة ينبغي اعتماد الحرية الدينية، والسياسية، والمدنية. واكدت وثيقة الالتماس على ضرورة انعقاد مجلس تمثيلي لتحقيق تلك المطالب. وفي 26 كانون الاول 1905، اصدر نيقولا بيانا وعد فيه بإجراء الاصلاحات، غير انه اصر بذات الوقت على تمسكه بسلطته المطلقة، وعدم استعداده التفريط بها. وبسبب فشل جهود ميرسكي في اجراء الاصلاحات الليبرالية امام تعسف القيصر، اجبر على تقديم استقالته، وبذلك اقنعت استقالة ميرسكي الروس على ضرورة تبني سياسة العنف لإجبار السلطة على التراجع[12]. وكان القيصر نيقولا الثاني قد عين الجنرال تريبوف الرجعي النزعة رئيسا لدائرة الشرطة بعد استقالة ميرسكي[13].

---

[9]) نغم سلام ابراهيم،"الجذور التاريخية للثورة البلشفية"،مجلة آداب المستنصرية،العدد:61، لسنة: 2013،ص7.

[10]) عبد الوهاب الكيالي (تحرير)،موسوعة السياسة،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1985)،ج1،ص612.

[11]) المصدر نفسه،ص8.

[12]) المصدر نفسه،ص9.

[13]) صالح،تاريخ اوروبا الحديث،ص127.

-الحرب اليابانية-الروسية(8 شباط 1904-20 اب 1905)[14]:

على الصعيد الخارجي كانت للحرب الروسية-اليابانية اثرها الكبير في البلاد، ففي مطلع شباط عام 1904 اصدر القيصر التماسا مثيرا لرعاياه من ابناء شعبه، طالبهم بإنقاذ بلادهم والدفاع عنها من الاعداء، ولكن لم يلق هذا الرجاء الا استجابة قليلة بين ابناء الشعب بسبب خوفهم من احتمال استخدام الحرب الخارجية كوسيلة لصرف انظارهم عن الاصلاحات الداخلية. كما ان اغلب الجنود كانوا من البسطاء المنحدرين من الارياف الاميين لا يعرفون من هم اليابانيون، بل حتى انهم كانوا يظنون انهم يحاربون الاتراك. وكشفت تلك الحرب عيوب النظام القيصري، اذ اقتنع الكثيرون بأن الاوتوقراطية، ونظام الحكم الفاسد مسؤول عما لحق بروسيا من الهزائم، وانها والموظفين الفاسدين بددوا اموال الشعب، والثروة الوطنية، وزهقوا ارواح المواطنين من غير ضرورة. فظهرت العديد من حالات التمرد والعصيان بين صفوف الجيش ولاسيما البحرية، ومما زاد من سوء الوضع حالات الفساد التي رافقت العمليات الحربية، اتهم فيها علنا مسؤولين كبار بمن فيهم افراد العائلة الحاكمة كونهم كانوا مستفيدين من العقود الحربية، واستخدام الاموال المخصصة للصليب الاحمر للمصالح الخاصة، فضلا عن الهزائم المريعة التي لحقت بالجيش الروسي[15].

2.دور العمال في الاحداث الثورية لثورة 1905:

ادت الحرب الروسية-اليابانية الى ازدياد حالة العمال سوءا، الذين يشكلون النسبة الكبرى من سكان المدن الصناعية مثل موسكو، وريغا، لودز، ووارسو، فهبت موجة من الاجتماعات والمظاهرات والاضرابات العمالية، ورفع العمال شعارات سياسية واقتصادية هي: (فليسقط الحكم المطلق)،(يوم العمل من ثماني ساعات)،(لتسقط الحرب)[16]. وادرك مناصرو الحكم المطلق خطورة تلك المظاهرات فعملوا على ايجاد اتحادات حكومية مضادة للاتحادات العمالية، ولكن بفعل الاضرابات المستمرة انجرفت حتى الاتحادات الحكومية للمطالبة بالإصلاح، وكان اقوى تلك الاضرابات التي قام بها الاب جورجي ابولونوفيتش غابون[17]. اذ قام الاب غابون بتشكيل جمعية عمال المصانع، والمعامل الروس في بطرسبورغ، وكان هدف هذه الجمعية تحديد الحركة العمالية بالنشاط الثقافي والتنويري،

---

[14]) الحرب الروسية-اليابانية: اندلعت عندما شنت اليابان هجوما مفاجئا على السفن الروسية الراسية في ميناء بورت آرثر في 8 شباط 1904، انتهت الحرب بهزيمة روسيا والتي وقع على اثرها معاهدة بورتسموت في 20 اب 1905. أ. ج. ب. تايلور، الصراع على سيادة اوروبا 1848-1918، ترجمة: فاضل جتكر،(ابو ظبي: كلمة للنشر والتوزيع،2009)،ص563.

[15]) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union(Bolsheviks),(New York,1939),P.55; صالح،تاريخ اوروبا الحديث،ص126-127؛ابراهيم،الجذور التاريخية للثورة البلشفية،ص9؛نادية جاسم كاظم الشمري،"الثورة الروسية 1905-1907"،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية،جامعة بابل،المجلد:3،العدد:2،لسنة:2013،ص344-345.

[16]) Encaracion AlZona, Some French Contemporary Opinions of the Russian revolution of 1905,(New York,1921),P.2; بيبفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص491.

[17]) ابراهيم،الجذور التاريخية للثورة البلشفية،10.

وعمل غابون على إقناع العمال بأن القيصر سيخفف من أوضاعهم. ولكن في 3 كانون الثاني 1905 اضرب عمال مصنع بوتيلوف في بطرسبورغ احتجاجا على طرد بعض العمال المنضمين الى المنظمة الغابونية، وايدهم عمال المؤسسات الاخرى ، وابتداء من 8 كانون الثاني انتشر الاضراب في بطرسبورغ، وبلغ عدد المضربين بين 140,000-150,000 وتوقفت عن العمل الكثير من المؤسسات الكبرى، فضلا عن توقف الصحف عن الصدور. وبمبادرة من غابون، صاغ العمال عريضة وقرروا تقديمها الى نيقولا الثاني في يوم الاحد المصادف 9 كانون الثاني خلال مظاهرة سلمية الى قصر الشتاء مقر القيصر. ونوقشت العريضة في الاجتماعات الشعبية، فوقف البلاشفة[18] ضدها واوضحوا ان القيصرية هي عدوة الشعب ولا يمكن انتظار الخير منها، واصدر البلاشفة منشور جاء فيه: "لا يمكن شراء الحرية ....بمثل هذا الثمن البخس أي بعريضة واحدة، ان الحرية تشترى بالدم، والحرية تنتزع بالسلاح في المعارك الضارية، لا يجب ان نتوسل الى القيصر ....بل يجب خلعه عن العرش، وطرد زمرة القيصر كلها معه، بمثل هذه الطريقة وحدها يمكن الظفر بالحرية". مع ذلك قرر البلاشفة الاشتراك في المظاهرة السلمية لكي يكونوا مع الشعب، وبناء على اقتراح البلاشفة ادخلت على العريضة مطالب سياسية وهي: عقد المجلس التأسيسي، وتقديم الارض للفلاحين، وحرية الكلام والنشر والاجتماعات، ويوم عمل من ثماني ساعات. وكان رد الحكومة بأنها قررت ان لا تسمح للعمال بالاقتراب من القصر القيصري، وان تخنق -باللجوء الى القوة العسكرية- كل مظهر من مظاهر السخط ظنا منها انها تستطيع بذلك ان تصد خطر الانتفاضة الثورية[19]. وفي اليوم نفسه 9 كانون الثاني[20]، توجه العمال مع زوجاتهم واطفالهم نحو قصر الشتاء، واشترك في الموكب ما بين 140,000-200,000 شخصا، وكانوا يحملون صور القيصر، والاعلام والايقونات، وكانوا يرتلون الصلوات، وكتب العمال في عريضتهم: "نحن عمال مدينة بطرسبورغ... جئنا اليك ايها القيصر بحثا عن الحق والحماية، اذ اصابنا الفقر، ونتعرض للاضطهاد، ويثقلونا بالعمل المرهق، ويحتقروننا ولا يعتبروننا بشرا ويعاملوننا معاملة العبيد ....لقد نفذ صبرنا. وبالنسبة لنا حل ذلك الوقت الرهيب الذي من الافضل فيه ان نموت بدلا من الاستمرار في الالام التي لا تحتمل". كانت العريضة التي دونها

[18]) البلاشفة: هم جزء من الحزب الاشتراكي الديموقراطي الروسي وعرفوا بهذا الاسم نسبة الى كلمة البولشفيك وهي كلمة مشتقة من الكلمة الروسية بولشينستفو ومعناها الاكثرية. انظر: عبد العظيم رمضان، تاريخ اوروبا والعالم الحديث،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997)،ج2،ص248.

[19]) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.56-57;Leon Trotsky,1905,In:http://www.marxists.org,P.51; يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص492؛الشمري،الثورة الروسية،ص345.

[20]) تواجه المؤرخ في التاريخ الروسي صعوبات في ايجاد تواريخ مضبوطة للأحداث التاريخية نظرا لاختلاف المصادر بين التقويم الروسي والتقويم الغربي، فعلى سبيل المثال لا للحصر صادف يوم الاحد الدامي في بعض المصادر تاريخ 22 كانون الثاني.انظر:
Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.56;
الشمري،الثورة الروسية،ص345.

العمال تتضمن مطالبهم الرئيسة ذات المطالب التي دونها البلاشفة في عريضتهم.

وكان رد الحكومة القيصرية على هذه المظاهرة السلمية، بأن قطعت القوات العسكرية والشرطة الشوارع والساحات، وكانت المدفعية على اهبة الاستعداد، وبدأ بأطلاق الرصاص على المتظاهرين، ثم قذفت ضد العمال فرقة الخيالة التي اخذت تضربهم بالسيوف وداستهم بحوافر خيولها واجهزت على الجرحى، وقتل في هذا اليوم الذي عرف بالأحد الدامي اكثر من 1000 عامل، وجرح ما يقارب 5000 منهم، فاستبد الغضب بالعمال، لذا أخذوا يتسلحون، وحطموا بعض مخازن الصيد، واستولوا على ورشة لصنع السلاح وشرعوا في بناء المتاريس. في يوم الاحد خاض العمال معارك غير متكافئة ضد القوات العسكرية، وكان البلاشفة مع الشعب، فدعوا الى السلاح، والى النضال، والانتقام ، وكتبوا في احد مناشيرهم: "ايها المواطنون، شهدتم يوم امس فضائع حكومة القيصر ،رأيتم الدم الذي اغرق الشوارع، فمن الذي ارسل القوات، وسدد السلاح، والرصاص الى صدور العمال، القيصر والامراء، والوزراء، والجنرالات"[21].

اثارت الاحداث التي جرت في بطرسبورغ انفجار السخط الشعبي[22]، اذ جرت في كل من موسكو وريغا، ووارسو، وتفليس اضرابات جماهيرية، رافقتها مظاهرات سياسية لبروليتارية العاصمة روسيا[23]، وجرت في عدد من المدن اشتباكات عنيفة مع الشرطة والقوات العسكرية، وبلغ عدد المضربين في شهر كانون الثاني 440,000 عامل، وامتدت موجة الاضرابات في كل انحاء روسيا، وامتد تأييد البروليتارية الروسية في كل من اوكرانيا، وبيلاروسيا، وبولونيا، وليتوانيا، واذربيجان، وجورجيا، واسيا الوسطى. وشمل الاضراب اكثر من 800,000 عامل، وكما ايد حركة العمال كل من الطلاب، والمثقفين، والاطباء، والمعلمين[24].

---

21) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.57-58;Trotsky,1905,P.51-53; Raymond Beazley, Neville Forbes and G.A. Birkett, Russia From The Varanglans to the Bolsheviks,(Oxford,1918),P.525;AlZona, Some French Contemporary,P.24;

يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص493-494؛بونوماريوف واخرون،موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،(موسكو:دار التقدم،1970)،ص60؛ادوارد كار،ثورة البلاشفة 1917-1923،(القاهرة:دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،1970)،ص52-53؛صالح،تاريخ اوروبا الحديث،ص127؛فرانسوا جورج دريفوس واخرون،موسوعة تاريخ اوروبا العام،(بيروت:منشورات عويدات،1995)،ج3،ص259؛ رمضان،تاريخ اوروبا والعالم الحديث،ج2،ص248؛ريتشارد ابجيانزي واوسكار زاريت،لينين والثورة الروسية،ترجمة:محي الدين مزيد،مراجعة:امام عبد الفتاح امام،(القاهرة:المجلس الاعلى للثقافة،2003)،ص91؛الشمري،الثورة الروسية،ص345-346.

22) الحقيقة ان احداث الاحد الدامي اثار سخط حتى الاشتراكيين خارج روسيا، انظر على سبيل المثال لا للحصر موقف الاشتراكيين الفرنسيين في:

AlZona, Some French Contemporary,PP.24-29.

23) Beazley and Others, Russia,P.526.

24) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.58-59;

يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص494؛الشمري،الثورة الروسية،ص346.

عند اندلاع ثورة 1905 في روسيا دعا البلاشفة بقيادة لينين الى عقد مؤتمر للحزب، ورفض المناشفة[25] الاشتراك في المؤتمر، وعقدوا في جينيف مجلسا عاما خاصا بهم دعي بالكونفرنس[26]. وعقد المؤتمر الثالث لحزب العمال الديمقراطي الروسي في لندن في شهر نيسان 1905 وترأس لينين اعمال المؤتمر، وطرح في هذا المؤتمر ان امام البروليتارية مهمة رئيسة، وهي مساندة الثورة البرجوازية، بالتعاون مع الفلاحين، وقلب الحكم المطلق، ومن ثم بدء النضال من اجل الثورة الاشتراكية بالتحالف مع الفلاحين الفقراء، واكد المؤتمر ان البروليتارية هي الطبقة الاكثر ثورية، وتؤيد انتصار الثورة الديمقراطية، وانها تستطيع ان تصبح قائد الجماهير الشعبية، ولذلك فان ضمان زعامة البروليتارية يعتبر من اعظم مهمات الحزب البروليتاري، وان حليفها الفلاحون الثوريين. واشار المؤتمر الى ان اللبراليين يسعون لإخضاع الجماهير لنفوذهم لكي يستغلوا الثورة من اجل تحقيق مصالحهم. فالبرجوازية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقيصرية ولا ترغب في تصفية النظام الملكي، وانما تريد فقط اصلاح النظام، وفي خوفها من الشعب ستقبل المساومة مع القيصر، ولذلك طرح في المؤتمر مهمة عزل البرجوازية الليبرالية، وفضحها امام الشعب. واكد في هذا المؤتمر ان القضاء على القيصرية ممكن عن طريق انتفاضة مسلحة، لذلك على الحزب ان يوجه جهوده من اجل التحضير التنظيمي والتكنيكي للانتفاضة، وتسليح وتدريب البروليتارية، ووضع خطط محددة للانتفاضة. ويجب ان يتكلل انتصار الثورة بتشكيل حكومة ثورية مؤقتة كهيئة لديكتاتورية البروليتارية، والفلاحين الثورية-والديمقراطية، ولابد للحزب من ان يشترك فيها لتوطيد مكاسب الشعب وضمان تحول الثورة البرجوازية-الديموقراطية الى ثورة اشتراكية. ووافق المؤتمر على صيغة مادة النظام الداخلي المتعلقة بعضوية الحزب التي وضعها لينين، وانتخب المؤتمر اللجنة المركزية للحزب برئاسة لينين[27]. كما اعلن المؤتمر تأييده للحركات الثورية في المناطق القومية في القوقاز، وبولندا[28].

في الوقت الذي اندلعت فيه ثورة 1905 كان هناك تباين واضح بين الصفوة المثقفة في المجتمع الروسي، وبين الطبقات الكادحة، اذ كان هناك انفصال تام، وكلا الفئتين تعيشان على كوكبين مختلفين على حد تعبير نقولا برديائف[29]. كما اختلفت القوى الاشتراكية في نظرتها لثورة 1905، ففي الوقت الذي رأى لينين والبلاشفة ان الثورة التي بدأت في روسيا هي ثورة برجوازية، ديموقراطية، أو على نحو ادق: "ثورة برجوازية

---

[25]) المناشفة: جزء من الحزب الاشتراكي الديموقراطي الروسي سموا باسم المناشفة أو المنشفيك المشتقة من الكلمة مينشينستفو اي الاقلية. انظر: رمضان،تاريخ اوروبا والعالم الحديث،ج2،ص248.

[26])Lenin,Collected,Works,(Mosco,1977),Vol:18,P.485.

[27]) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.62ff;

بيبفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،496-497؛بونوماريوف واخرون،موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،ص61-70؛الشمري،الثورة الروسية،ص346-347.

[28]) سليبوف،الحزب الشيوعي السوفيتي حزب الاممية البروليتارية،(موسكو:دار التقدم،1974)،ص44.

[29]) نقولا برديائف،اصل الشيوعية الروسية،ترجمة:فؤاد كامل،مراجعة:راشد البراوي،(القاهرة: الشركة المصرية للطباعة،1966)،ص121.

بـأدوات بروليتاريـة"، مهمتهـا الرئيسـة القضـاء على بقايـا القنانـة، واسـقاط القيصـرية، ونيـل الحريـات الديموقراطيــة. ومعنـى ذلــك انهــا ليســت ثــورة بروليتاريـة هـدفها اقامـة ديكتاتوريـة البروليتاريـة، وانمـا للبروليتاريـة مصلحة رئيسـة في نجاحهـا، لان انتصار البرجوازية التام يقرب نضال البروليتارية من اجل الاشـتراكية، وبالتـالي تصبح هي القـوة الرئيسـة المحركــة للثــورة وقادتهــا. وتصــبح مهمــة اقامــة الديكتاتوريــة الثوريــة الديموقراطيــة، اي حكــم البروليتاريــة والفلاحــين معــا، وتكــون هيئتهــا هــي الحكومة الثورية المؤقتة التي تقوم بتحويل الثـورة الديموقراطية الى الاشتراكية في الوقت المناسب. اما المناشـفة فكانوا يرون انه ما دامت الثورة برجوازية فقياداتها يجب ان تكون برجوازية. اما مهمة الطبقة العاملة فتقتصـر على دعمهـا فقـط، وكان المناشـفة يعارضـون مسـألة تحـالف البروليتاريـة مع الفلاحـين، لانهـم لـم يكونـوا يثقـون بقـدرة الفلاحـين الثوريـة، وكانوا يرون ان الثورة الاشـتراكية لن تقوم الا عندما تصــبح البروليتاريــة هــي الاكثريــة بــين ســكان الـبلاد[30].وعبر المنشـفي مـارتينوف عـن جـوهر افكـار المناشـفة: "لـم يـر المناشـفة اي طريـق اخـر تسـتطيع البروليتارية عبره ان تسهم بدور نافع في الازمة سوى اســناد الــديموقراطيين الليبــراليين البرجــوازيين في محاولتهم اقصاء الجناح الرجعي من الطبقة المالكة عن السلطة السياسية، ولكن البروليتارية وهي تقدم مثل هذا الاسـناد لابد لها ان تحافظ على اسـتقلالها السياسـي التـام". ان هـذا الاسـلوب جعـل البلاشـفة ينظـرون الى ان المناشـفة واتبـاعهم اردوا ان يجعلـوا من العمـال تـابعين للبرجوازية، أو بمعنى ادق تطويع الحركـة العماليـة. في حـين ان البلاشـفة اعتقـدوا بضــرورة: "اســتقلال البروليتاريــة، وســط ازمــة البرجوازية، وذلك عن طريق النضال لتصعيد الازمة حتـى ذروتهــا، وفضــح خيانــة الليبراليــة، وتنــوير البرجوازية الصغيرة، لاسيما الريفية منها، وتحشـيدها للرد على هذه الخيانة"[31].كذلك وقع الخلاف حـول وسـيلة الثــورة، فبينمــا اعتــرض المناشــفة علــى الانتفاضــة المســلحة، رأى لينــين ان الانتفاضــة المسلحة هي الوسيلة الحاسمة للقضاء على الحكم القيصـري المطلـق. لـذلك حـين وقعـت الاضـطرابات الاولى، انتقـد لينـين لجنـة بطرسـبورغ النضـالية التي نظمت لإعداد الانتفاضة، لتقاعسها وترددها، ورسم خطــة محــددة لعملهــا قــائلا: "اتصــلوا بالشــباب، وانشئوا على الفور فرقا قتالية من الطلبة والعمال، وليتسلح كل منهم بقدر ما يستطيع. وعلى الفصـائل ان تشـرع حـالا في التـدريبات الحربيـة". وفي الوقـت نفسه اتخذ لينين التدابير لشراء الاسلحة من الخارج لإرسالها الى روسيا[32].

اسهمت الصحف الاشتراكية في هذه الفترة في تزايـد الـوعي العمـالي، واصـدر البلاشـفة في عـام 1905 عـدة صـحف ناطقـة باسـمهم وهي: فبيريـود، والبروليتـاري، ونوفايـا جيـزن. كمـا اصـدر المناشـفة

[30]) رمضـــــــان،تاريخ اوروبـــــــا والعــــــــالم الحـديث،ج2،ص250؛اريك هوبزباوم،عصـر الامبراطورية 1875-1914،ترجمـــة:فايز الصـــــياغ،(بيروت:المنظمة العربية للترجمة،2011)،ص553.

[31])Lenin,CollectedWorks,Vol:18,P.485486;Lenin,CollectedWorks, (Mosco,1977),Vol:20,P.251-252; فلاديمير اوليـانوف لينين،الاشـتراكية والحرب،(بيروت:دار التمدن،بلا.ت)،ص63.

[32]) رمضـان،تاريخ اوروبـا والعـالم الحـديث،ج2،ص250-251.

صحيفة ناتشالو، وتولى كل من بارفوس، وتروتسكي[(33)] ادارتها[(34)].

لعب البلاشفة دورا مؤثرا في الاحداث الثورية، ومن المعروف وباعتراف المناشفة انفسهم من امثال كولتسوف، وليفتسكي ان جماهير العمال كانت تسير وراء البلاشفة خلال الثورة[(35)].

في شباط 1905 اغتيل عم القيصر كراند ديوك سيرج في موسكو مع عدد من السياسيين الامر الذي ادى بالقيصر ان يذعن للواقع، فاصدر عدة مراسيم بخصوص التسامح الديني، والحرية الفردية، واعفاء الفلاحين من بقايا التعويضات، والسماح للبولنديين، والليتوانيين وغيرهم في استعمال لغتهم القومية، ومحاكمة المتهمين السياسيين في المحاكم المدنية بدلا من العسكرية، ودعا القيصر سيرج دي ويت[(36)] لتشكيل الحكومة، وعزل تريبوف من وزارة الداخلية، ووعد بدعوة المجلس الوطني، الا ان القيصر لم يتنازل عن سلطاته المطلقة قيد شعرة، ولهذا استمر الاحرار في ثورتهم[(37)].

تأججت حركة الاضراب في 1 ايار، ووزع بين العمال منشور كتبه لينين اهاب فيه بالعمال للاحتفال بعيد الاول من ايار بتشديدهم على العمل الثوري ضد القيصرية، وقامت المنظمات البلشفية المسلحة بنشاط تحريضي، وتنظيمي واسع، وتحول الاحتفال الى مظاهرة ضخمة لتضامن البروليتارية،

---

[33]) ليون تروتسكي: ولد عام 1879، اسمه الحقيقي ليف دافيدوفيش برونشتاين. كان ابن مزارع يهودي في جنوب اوكرانيا. انخرط في العمل السياسي في مطلع شبابه، وتم اعتقاله مرتين، ثم نفي الى سيبيريا، تعاون مع لينين في صحيفة ايسكرا، لكنه انشق عنه منتقدا افكاره. بعد ثورة 1905 اصبح له دور ريادي في سوفييت بطرسبورغ، ثم انظم الى البلاشفة بعد ثورة شباط 1917. بعد وفاة لينين اصبح خصما عنيدا لستالين، ثم نفاه الاخير، وفي عام 1938 اسس الاممية الرابعة ثم توفي مقتولا في 21 اب 1940 بيد احد عملاء ستالين. انظر: روبرت بنيويك وفيليب جرين(تحرير)، موسوعة المفكرين السياسيين في القرن العشرين، ترجمة: مصطفى محمود،(القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية،2010)،ص484-489.

[34]) Lenin,Collected Works,Vol:20,P.251;

ابجيانزي وزاريت،لينين والثورة الروسية،ص100.

[35]) Lenin,Collected Works,Vol:20,P.252.

[36]) سيرج دي ويت(1849-1903): ولد في مدينة تفليس في قفقاسيا، وابوه من اصل هولندي، عمل في وظائف ادارية في روسيا. درس دي ويت في جامعة اوديسا، وتخرج منها، وعمل موظفا لبناء السكك الحديدية، واهتم بالأمور المالية في جنوب روسيا. ومع انه ظل محافظا من الناحية السياسية الا انه روج للصناعة والتجارة وتطويرهما اسوة بالغرب. عينه القيصر الاسكندر الثالث مديرا عاما للسكك الحديدية في وزارة المالية اول الامر، ثم ما لبث ان رقاه الى وزير المواصلات عام 1892، ثم اصبح وزير المالية بعد سنة، وظل في منصبه الى عام 1903. واستخدم نفوذه السياسي، والشخصي للتأثير على القيصر نيقولا الثاني في تطبيق سياسية تجارية وصناعية لصالح الطبقة البرجوازية، بالتأكيد على الاقتصاد الوطني، وتشجيع الصناعة والتجارة وحمايتها بفرض تعريفة جمركية على البضائع المستوردة. وعمل على تقوية البنك الروسي وجعل العملة الروسية قائمة على اساس الذهب، وكانت له اليد الطولى في مد السكك الحديدية، وانتشار المصانع، وتدخل الدولة في النزاعات بين العمال واصحاب المعامل، وتنظيم المعامل والمناجم، وهكذا قوى الحركة الصناعية. انظر: صالح،تاريخ اوروبا الحديث،ص121-122.

[37]) Beazley and Others, Russia,P.526-527;

صالح،تاريخ اوروبا الحديث،ص127-128.

اذ اندلعت المظاهرات في مختلف المدن الروسية بتحريض من البلاشفة، فشملت عمالا من مختلف القوميات الروسية، واتسمت الاضرابات والمظاهرات بطابع سياسي، وانتهت في وارشو، واوديسيا، وريغا، وباكو باشتباكات دموية مع الشرطة والقوات العسكرية. كما اندلع اضراب حائكي مدينة ايفانوفو- فوزنيسينسك الذي استمر من 12 ايار حتى اواخر تموز ضخما، اذ اشترك فيه 30,000 عامل، وقاد البلاشفة الاضراب مما اكسبه طابعا منظما. وحاولت السلطات المحلية ان تفرق العمال فاقترحت عليهم اجراء مفاوضات مع اصحاب كل مؤسسة على حدة، لكن العمال لم تنطل عليهم هذه الخدعة، فوضعوا مطاليب اقتصادية وسياسية، وطالبوا بتحديد يوم العمل 8 ساعات، وزيادة الاجور وعقد المجلس التأسيسي، وتطبيق حرية الكلام والنشر، وازالة السجون التابعة للمعامل. ولأجل قيادة الاضراب والعلاقات مع اصحاب المؤسسات والسلطات اسس العمال هيئة وهي: مجلس المفوضين وكانت هذه الهيئة منتخبة من ممثلي كافة المصانع والمعامل المضربة، وكان عدد اعضاء نوابه 151 نائبا، وكان البلاشفة يشكلون ثلثي العدد، وهكذا نشأ اول سوفييتات[38] نواب العمال في روسيا في بطرسبورغ في 13 تشرين الاول الذي عمل كهيئة سلطة ذات حقوق تامة، الذي قاد الاجتماعات والحفلات الخطابية العمالية، واجرى المفاوضات مع السلطات، وانشأ المليشيات، والعصب القتالية للمحافظة على الامن، ولصد الشرطة والقوات العسكرية، ونضم صندوق الاضراب[39].

في حزيران 1905 بدأت مدينة لودز في بولندا معارك المتاريس، واستطاع العمال بما لديهم من اسلحة التصدي للقوات النظامية على مدى ثلاثة ايام(22-24 حزيران)، وبدا الاضراب العام في اوديسا حيث اصطدم العمال المضربون بقوات الشرطة، والجيش، وظهرت المتاريس عند اطراف المدينة، وبلغ الامر حد الانتفاضة المسلحة، وطالب

[38]) السوفييت: كلمة روسية معناها مجلس، وكانت السوفييتات تتألف من العمال والفلاحين والجنود. وتمارس السوفييتات كما تؤكد النظرية الشيوعية، كامل سلطة الدولة في الاتحاد السوفييتي، سواء في المركز أو في الاطراف. والسوفييتات هي هيئة سلطة الدولة التي ينتخبها الشعب بمجموعه. وفي السوفييتات تمتزج بتناسق وظائف اجهزة السلطة في الدولة، ووظائف اكثر المنظمات الاجتماعية جماهيرية، وتضم كذلك كافة طبقات السكان الكادحين. وان السوفييتات في الوقت ذاته هي اجهزة لتنظيم الدولة القومي لمختلف قوميات الاتحاد السوفييتي، ويشارك الشعب بنشاط عبر هذه الهيئة، من اجل حل كافة مسائل بناء الدولة. وان كافة الهيئات ابتداء من سوفييت القرية وانتهاء بالسوفييت الاعلى للاتحاد السوفييتي هي حلقات في سلطة الدولة الواحدة. انظر:

Lenin,V.I,CollectedWorks,(Mosco,1977),Vol:38,PP. 238-239;

فلاديمير لينين،ما هي سلطة السوفييت،(موسكو:در التقدم،1973)،ص33-34؛غيورغييف،الاتحاد السوفييتي اليوم،(موسكو: دار التقدم،1971)،80-81؛عبد الوهاب الكيالي(تحرير)،موسوعة السياسة،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1983)،ج3،ص320.

[39]) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.59;

يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص497-498؛الشمري،الثورة الروسية،ص347-348.

العمال بالسلاح، الا انه لم يكن متاحا لدى المنظمات الثورية في المدينة(40).

اتسمت الحركة الاضرابية بأتساع هائل، وتحولت الى اضراب سياسي لعموم روسيا، وكادت ان تؤدي الى انتفاضة مسلحة سافرة للبروليتارية ضد الحكم المطلق، ففي شهر ايلول جرى بقيادة البلاشفة اضراب جماهيري قام به عمال موسكو، واشترك في الاضراب عمال المطابع، والخبازون، وعمال التبغ، والمعدنون، وعمال السكك الحديدية. وقادت الاضراب مجالس النواب المنتخبين حسب فروع الصناعة، والتي توحدت فيما بعد في مجلس النواب لعموم المدينة. وفي نهاية شهر ايلول حدثت اشتباكات عنيفة بين العمال والشرطة(41). وفي بداية شهر تشرين الاول وبمبادرة من المنظمة البلشفية ابتدأ الاضراب في سكة حديد موسكو –كازان، وفي 8 تشرين الاول شمل الاضراب عقدة السكك الحديدية في موسكو بأسرها ما عدا سكة حديد نيقولا-يفسكايا التي احتلتها القوات العسكرية، وامتد الاضراب ليشمل المدينة كلها، فضلا عن بطرسبورغ ثم تحول الى اضراب سياسي لعموم روسيا. وناضل العمال تحت شعارين سياسيين (فليسقط الحكم المطلق)و(عاشت الانتفاضة الشعبية الشاملة). وسعى البلاشفة بتنفيذ توجيهات لينين لتحويل الاضراب العام الى انتفاضة مسلحة، فكتبوا في نداء موجه الى عمال موسكو بالانتفاضة الشعبية الشاملة، ودعم عمال ما وراء القفقاس، واوكرانيا، وبيلاروسيا، والبلطيق، دعما نشيطا للحركة العمالية الروسية. ورافقت نضالات العمال في العديد من المدن اشتباكات مسلحة، واشترك في الاضراب لعموم روسيا اكثر من مليوني شخص ،ولم يشترك في هذا الاضراب فقط العمال بل المستخدمون الصغار، ووكلاء المخازن، والمثقفون، والمحاميون، والاطباء، والمهندسون، والمعلمون، والصحفيون، والممثلون، وتوقفت العديد من المعاهد والجامعات عن التدريس، كما توقفت القطارات عن السير، وتوقف العمل في المصانع، ودوائر البريد والتلغراف، وتوقفت الجرائد والمجلات عن الصدور، واغلقت المخازن ابوابها. وشل الاضراب قوى حكومية واصبحت عاجزة عن التغلب على البروليتارية المنظمة(42).

في اثناء الاضراب لعموم روسيا اخذت تتشكل في كل مكان سوفييتات نواب العمال في موسكو كما هو الحال في بطرسبورغ، وفيما بعد في المدن الكبيرة الاخرى. وكان اول رئيس لسوفييت بطرسبورغ هو خروستاليف-نوسار وهو محام راديكالي انضم الى الجناح المنشفي من الحزب الديموقراطي الروسي، واصدر السوفييت صحيفة اسبوعية هي: ازفستيا سوفيتا زابوشليك دبوتاتوف. وانتخب العمال الى مجالس السوفييت افضل ممثليهم الذين كانوا يعرفون جيدا حاجات العمال، ويعرفون كيف يدافعون عن مصالح البروليتارية، بواقع مندوب واحد كل 500 عامل، وكان يضم هذا السوفييت 550 مندوبا يمثلون 250,000 عامل. ولعل ابرز ممثلي السوفييتات كان ليون تروتسكي،

---

40) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.59.

41) يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص504؛الشمري،الثورة الروسية،ص350.

42) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.77;Trotsky,1905,P.59;Beazley and Others, Russia,P.530;

يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص504-505.

الذي صار عندما القي القبض على خروستاليف-نوسار في اواخر تشرين الثاني رئيسا للسوفييت.

كان العمال يعتبرون مجالس السوفييت سلطتهم، وكانوا يقولون: "لدينا حكومتنا، كل ما يطلبه مجلس السوفييت ننفذه". نشأت مجالس السوفييت كهيئات لقيادة النضال العمالي، ولكنها تحولت في مجرى هذا النضال الى هيئات سلطة ثورية جديدة، اذ كانت هذه المجالس تراقب عمل الادارة في المصانع، فطبقت يوم العمل 8 ساعات، وحققت حريات ديمقراطية، وكانت هذه المجالس قوة نشيطة بشكل خاص حيث كان يرأسها البلاشفة كما في موسكو، ووصفها لينين بانها مراكز للانتفاضة المسلحة، وجنيناً للحكم الشعبي. كان مجلس سوفييت موسكو يراقب التجارة، ويحارب المضاربة، وافتتح عدة مطاعم للعاطلين عن العمل، ومنع صدور الجرائد المعادية للثورة، واصبحت المجالس التي كان يقودها البلاشفة تجسيدا لديكتاتورية البروليتارية والفلاحين الديمقراطية الثورية[43].

3.دور الفلاحين في الاحداث الثورية.

كان للفلاحين دورا لا يقل اهمية عن العمال في الاحداث الثورية، وكانوا يطمحون الى الغاء ملكية الملاكين العقاريين، وبقايا القنانة في النظام الزراعي في روسيا، وبالتالي في جميع مؤسسات روسيا الاجتماعية والسياسية[44].

اذ هب الفلاحين في كانون الثاني وشباط في مختلف مناطق روسيا بانتفاضات فلاحية، وشملت اضرابات الفلاحين محافظات روسيا والاطراف القومية، وكانت حركة الفلاحين في هذه الفترة تتسم بالعفوية، وبشكل عام غير منظمة، وضعيفة الارتباط بحركة العمال، وكان الفلاحون يناضلون من اجل حاجاتهم المحلية، ولم يتقدموا بمطاليب سياسية واسعة. وكان حقدهم منصبا ضد الملاكين العقاريين، ولكنهم ظلوا مؤمنين بالقيصر وكانوا يأملون رحمته. وقام الاشتراكيون الثوريون[45] بأعمال السلب والنهب، وحرق بيوت الاغنياء[46].وفي اثناء الثورة عقد المؤتمر الثالث لحزب العمال الديمقراطي الروسي في لندن في شهر نيسان 1905، والذي اكد فيه بان الحزب بوصفه حزب البروليتارية الواعية، يطمح الى تحرير جميع الشغيلة تحريرا تاما من كل استثمار واستغلال، وهو يؤيد كل حركة ثورية موجهة ضد النظام الاجتماعي والسياسي الحالي، لهذا فهو يدعم حركة الفلاحين الحالية بأقصى عزيمة، ويدافع عن جميع التدابير الثورية

---

[43]) أ.ف.لوناشارسكي،لوحات ثورية،ترجمة:احمد خليفة،(بيروت:مؤسسة الابحاث العربية،بلا.ت)،ص27؛يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص506؛أ. منتس،كيف حدثت ثورة اكتوبر،(موسكو:دار التقدم،1987)،ص24؛ كار،ثورة البلاشفة،ص53؛رمضان،تاريخ اوروبا والعالم الحديث، ج2،ص249؛هوبزباوم،عصر الامبراطورية،ص553؛ابجيانزي وزاريت،لينين والثورة الروسية،ص98.

[44]) فلاديمير اوليانوف لينين،التحالف بين العمال والفلاحين،(موسكو:دار التقدم،1970)،ص211.

[45]) الاشتراكيون الثوريون: حزب سياسي انبثق في اواخر عام 1901-1902، نتيجة توحيد متخلف الجماعات والحلقات الشعبية الاشتراكية. لم ير الاشتراكيون الثوريون الفروق الطبقية بين البروليتارية والفلاحين، وطمسوا التمايز الطبقي، والتناقضات في داخل الفلاحين، وانكروا دور البروليتارية القيادي في الثورة. انظر: الكيالي، موسوعة السياسة،ج1،ص203.

[46]) Beazley and Others, Russia,P.529; يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص494-495؛صالح،تاريخ اوروبا الحديث،ص127.

التي من شأنها ان تحسن حالة الفلاحين. كما اقر المؤتمر ضرورة انتزاع اراضي الملاكين العقاريين، والعمل فورا على تأليف لجان فلاحية ثورية، تعمد الى مساندة جميع التحولات الديموقراطية بلا تحفظ، والى تطبيقها بكل تفاصيلها. وعلى الحزب ان يبذل جهده في داخل هذه اللجان، لكي يحشد بروليتاريي الارياف في قلب منظمة مستقلة تدعم كل طبقة الفلاحين باسرها في كل من اعمالها الديموقراطية الثورية من جهة، وتدافع من جهة اخرى عن المصالح الحقيقية للبروليتارية الريفية في نضالها ضد البرجوازية الفلاحية[47].

وترأس لينين اعمال المؤتمر، الذي اكد على ان القضية الرئيسة للثورة الروسية هي تصفية ملكية الملاكين العقاريين للأرض، وبقايا نظام القنانة. وطُرح في المؤتمر مهمة توطيد التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين، ولهذا اتخذ المؤتمر قرارا بتأييد مطاليب الفلاحين الثورية حتى مصادرة اراضي الملاكين العقاريين مصادرة تامة، وبتقوية العمل التنظيمي، والدعائي للبلاشفة في الريف من اجل تقوية الحركة الفلاحية[48].

قوبل النضال الذي قامت به الطبقة العاملة بمساندة نشيطة في الريف، اذ اشتدت الحركة الفلاحية في المناطق الوسطى من روسيا، وفي اطرافها القومية، وشملت الاضطرابات الفلاحية خُمس اقضية البلاد. وهجم الفلاحون على ضياع الملاكين العقاريين، واحرقوا ودمروا وامتنعوا عن دفع الضرائب، وحرث اراضي الملاكين العقاريين، كما صاحب تلك الحركة الاستيلاء على المروج والمراعي، واتلاف عقود الاستئجار المجحفة. ففي فترة جمع المحاصيل اضرب العمال الزراعيون في كل مكان عن العمل مطالبين بتحسين معيشتهم وزيادة اجورهم، وكانت حركة العمال الزراعيين في لاتفيا قوية بوجه خاص، وارسلت القوات العسكرية لقمع هذه الحركة. وتجلى نمو وعي الفلاحين السياسي بوضوح في تشكيل منظمة جماهيرية للفلاحين هي اتحاد الفلاحين[49].

4.تعاظم حركة العمال والفلاحين من 7 -19كانون الاول 1905:

دفعت حوادث تشرين الاول، ولاسيما اضراب العمال السياسي لعموم روسيا نهوض حركة الفلاحين نهوضا شديدا. فشملت هذه الحركة نصف اقضية روسيا، كما شهدت الانتفاضة الفلاحية تطورا ملحوظا، اذ بلغت 3228 انتفاضة فلاحية جرت في عام 1905، ولكن بشكل عام ضلت انتفاضات الفلاحين محصورة في مكانها، بيد انها تطورت واصبحت حركاتهم اكثر نشاطا، وهجومية، ورافقت الكثير من هذه النضالات اشتباكات مع الفرق التأديبية. ونما وعي الفلاحين السياسي، فنشأت منظمات ثورية مستقلة للفلاحين، وفي بعض المناطق مجالس نواب الفلاحين، وطالب الفلاحون ان تصبح الارض كلها ملكا للشعب. وتفاقمت التناقضات في مجرى الثورة بين الفلاحين الفقراء والكولاك[50](الفلاحين الاغنياء)، ووصل الامر الى حد الاشتباكات الدامية فيما بينهم. واكتسبت الحركة الفلاحية بأهمية في عموم روسيا، التي شملت جميع

---

47) لينين،التحالف بين العمال والفلاحين،ص115-116.

48) بيبفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص496.

49) المصدر نفسه،ص500.

50) الكولاك: كلمة روسية تعني القبضة وتطلق على طبقة المزارعين المترفين الذين يمتلكون الارض بقبضتهم. انظر: عبد الوهاب الكيالي (تحرير)،موسوعة السياسة،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1990)،ج5،ص239.

محافظات روسيا، ومناطق الاطراف القومية، واضطرت الحكومة تحت ضغط الحركة الفلاحية الى الغاء تعويضات النهب التي كانت تجبى من الفلاحين منذ عام 1861، ولكن هذا التدبير لم يستطع وقف تطور حركة الفلاحين من اجل حل المسألة الزراعية حلا كاملا[51].

في هذا الاثناء اشتدت حركة الإضرابات العمالية التي ادت الى اشتباكات مسلحة مع الحكم المطلق. ودعا حزب البلاشفة الجماهير الى الهجوم الحاسم على القيصرية، وقام بتحضير عسكري وتكنيكي كبير للانتفاضة، اذ بعد عودة لينين الى روسيا اخذ على تعبئة الجماهير للانتفاضة المسلحة، كما ترأس البلاشفة مجلس سوفييت نواب العمال في موسكو. وفي 7 كانون الاول بدأ اضراب سياسي عام بمبادرة من البلاشفة صادق عليها مجلس سوفييت موسكو، وتوجه مجلس سوفييت موسكو نداء طالبوا فيه بإعلان اضراب سياسي، والتوقف عن العمل في جميع المصانع، والمعامل، وفي كافة مؤسسات المدن والدوائر الحكومية، وتلبية لهذا النداء توقف عن العمل اكثر من 100,000 شخص. وكان الاضراب منضما تنظيما جيدا، ولجأت الحكومة الى القوة لمحاربة العمال، وفرقت مظاهراتهم بواسطة القوات العسكرية والشرطة، وشارك في هذه المظاهرة 6000 متطوع من العمال المسلحين بالبنادق العسكرية القديمة، وانتهج المتظاهرون حرب الشوارع بجمعهم بين معارك المتاريس، وعمليات الانصار، وكانت القوة الاساسية تتكون من جماعات صغيرة متنقلة من الانصار يتراوح عددها ما بين 3-4 اشخاص، لذا وجهت السلطات القيصرية لقمع الانتفاضة فوج سيمونوفسكي الذي استقدم من بطرسبورغ بواسطة السكة الحديدية[52].ومد فلاحو القرى المجاورة عمال موسكو بالمواد الغذائية، وفي المعارك في بريسينا، احدى المناطق العمالية في موسكو، استطاع المنتفضون من الاستيلاء على السلطة، وتجريد الشرطة من السلاح، وكردة فعل لهذه الاجراءات التي قام بها المتظاهرون استخدمت المدفعية التي فتحت النار على المراكز الرئيسة للانتفاضة. وطوق جنود المشاة منطقة بريسينا، وشنوا هجوما من مختلف النواحي، وكانت قوى الطرفين غير متكافئة، فالأسلحة لدى المنتفضين غير كافية، كما انهكت المعارك التي استمرت ايام عديدة قوى العمال. وفي اليوم 19 كانون الاول انتهت الانتفاضة بقرار من مجلس سوفييت موسكو. واحتلت الفرق التأديبية بريسينا، وبدأت بتنكيل دموي بالمنتفضين، فأعدم الكثير من العمال رميا بالرصاص من غير محاكمة في باحات المعامل مباشرة، وكما زج بأخرين في السجون. ويعود سبب اندحار الانتفاضة الى انها لم تكن معدة بشكل كافي، وارتكب المنتفضون خلالها عددا من الاخطاء فلم يكن هناك من وجود خطة موحدة عامة للانتفاضة، ولا قيادة موحدة في موسكو، وفي بداية الانتفاضة اعتقل الشرطة قادة اللجنة الحزبية في موسكو، واتخذ النضال طابعا دفاعيا، كما جرى بشكل مجزأ في بعض مناطق موسكو[53].وفي اثر عمال موسكو هب عمال اوفا، وبيرم،

---

[51]) المصدر نفسه،ص509.

[52]) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.81-82;

يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص511-512؛بونوماريوف واخرون،موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي،ص77.

[53]) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.82-83;

وسورموفو، وغورلوفكا، ورستوف على الدون، ونوفورسييسك، وكراسنويارسك، وتتشيا، وفلاديفوستوك، وعمال مدن عديدة اخرى، وفي مدن اخرى جرى انتقال السلطة مؤقتا الى ايدي العمال، كما وجرت اشتباكات عمالية مسلحة مع الحكومة في المناطق القومية في اوكرانيا، والبلطيق، وجورجيا، الا ان تلك الانتفاضات كانت مجزأة ولم تكن لها قيادة موحدة في عموم روسيا، ولم تكن لدى العمال قوات كافية وخبرة للإطاحة بالحكم المطلق[54].كما حدث اضرابا عاما في فنلندا في كانون الاول 1905، وعلى اثره منح القيصر للفنلنديين الاستقلال الذاتي، مع صلاحيات وضع دستور لفنلندا[55].

5.تراجع الثورة في عامي 1906-1907:

بعد هزيمة انتفاضة كانون الاول المسلحة بدأت مرحلة الهبوط التدريجي للثورة، اذ عاثت في كل البلاد الفرق التأديبية، واعلنت حالة طوارئ في العديد من المحافظات، ونكل المؤدبون بالعمال والفلاحين المشتبه بهم لاشتراكهم النشيط في الحركة الثورية، واعتقل العديد من القادة البلشفيين وارسلوا الى الاشغال الشاقة، وبدأ العمال الذي انهكهم واتعبهم القتال الذي خاضوه لمدة عام كامل بالتراجع، الا ان الثورة لم تنقطع بل استمرت بوتيرة اقل من السابق، اذ بلغ عدد المضربين في عام 1906 اكثر من مليون، وفي عام 1907 بلغ عددهم 740,000. وكان انشط المشتركين هم عمال الفروع الصناعية من الصناعات الخفيفة، والمؤسسات الصغيرة ، وكما اخذت النقابات تلعب دورا محسوسا في الاضرابات، واضطرت الحكومة في عام 1906 ان تعترف بهذه النقابات. ومنذ تلك الفترة اصبحت النقابات نقاط ارتكاز البلاشفة من اجل العمل بين الجماهير البروليتارية[56]. كما استمرت الاحزاب الاشتراكية بإصدار الصحف العمالية، ففي ربيع 1906 ظهرت صحيفتي فولنا وايخو البلشفيتين، وظهرت صحيفة النارودناياودوفا التي اصدرها المناشفة في ربيع 1907[57].كما بقي مستوى الحركة الفلاحية عاليا في هذه الفترة ،ففي عام 1906 حدثت 2600 حركة فلاحية[58]. وكان المؤتمر الرابع لحزب العمال الديموقراطي الاشتراكي المعروف بالمؤتمر التوحيدي والذي عقد بين 10-25 نيسان 1906 في ستوكهلم اكد في قراره على ضرورة مساندة الاعمال

يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،513-514؛بونوماريوف واخرون،موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،ص78.

[54]) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.84;

يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص515.

[55]) صالح،تاريخ اوروبا الحديث،ص128.

[56]) Peter Holquist, "Violent Russia, Deadly Marxism? Russia in the Epoch of Violence 1905-1921",In:http//www.history.upenn.edu,P.632;Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.84;

يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص517-518؛بونوماريوف واخرون،موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،ص82

[57]) Lenin, Collected Works,Vol:20,P.251; Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.85.

[58]) يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص518.

الثورية التي يقوم بها الفلاحون[59]. والقى لينين في المؤتمر ثلاث تقارير عن المسألة الزراعية، واخر عن مهمات البروليتارية، وحول الموقف من مجلس دوما الدولة، وخطابين عن الانتفاضة المسلحة، والمسألة التنظيمية للحزب، كما اشترك في لجنة وضع مسودة النظام الداخلي للحزب. عقد المؤتمر في جو من الصراع البالغ الحدة بين البلاشفة والمناشفة، ونشبت جدالات حامية حول المسألة الزراعية. كان لينين والبلاشفة يدافعون عن مطلب مصادرة اراضي الاقطاعيين، وتأميم الارض كلها، اي الغاء الملكية الخاصة للأرض، وجعلها ملكا للدولة. ولم يكن من الممكن تأميم الارض الا بشرط اسقاط الحكم المطلق، وعلى هذا كان البرنامج الزراعي البلشفي يدعو الفلاحين الى الثورة على القيصر والاقطاعيين. ولكن المناشفة اعترضوا على تأميم الارض وطالبوا بتسليم اراضي الاقطاعيين للبلديات، على ان تتولى هذه تأجيرها للفلاحين. ولما كان المناشفة هم الاكثر عددا في المؤتمر، لهذا استطاعوا تمرير مقرراتهم في جميع المسائل الرئيسة، بما فيها برنامج تسليم الارض للبلديات[60].

واما الملاكون العقاريون فانهم امام المد الثوري قدموا عدة تنازلات تحت ضغط الفلاحين، فخفضوا اسعار الاستئجار، وزادوا اجور العمال الزراعين، وحسنوا شروط العمل، ولكن على الرغم من هذا الانجاز فإن الحركة الفلاحية سارت نحو الهبوط السريع قبل نهاية عام 1906. وكان موقف القيصرية من ذلك هو عدم الانتقال الى هجوم حاسم، واتباع سياسة المناورة والتنازلات الجزئية والوعود[61].

استمر البلاشفة في محاولات تأجيج الحركة العمالية الثورية، ففي 9 ايار القى لينين خطابا في مؤتمر شعبي ضم اكثر من 3000 شخص في بطرسبورغ، هاجم فيه حزب الكاديت البرجوازي وتواطئه مع الحكم المطلق، ودافع عن خط البروليتارية الثوري، فضلا عن ذلك قام لينين بعد ذلك بإلقاء الخطابات امام تجمعات العمال الاشتراكيين الديموقراطيين في منطقة نارفا، وامام عاملات مصنع شابشال للتبغ، وامام عمال حي سيميانيكوف في نيفسكايا زاستافا[62].

كانت القوى الرجعية امام هذا التراجع لقوى الثورة اخذت تلملم نفسها، وبدأت بثورة مضادة ضد القوى الثورية عام 1906، وساعد ذلك رجوع الجيش من ساحات القتال بعد انتهاء الحرب الروسية-اليابانية، واستخدم للقضاء على الحركات الحرة، وقضت الحكومة القيصرية على ثورة قومية في القفقاس، وفي بولندا بشدة وقسوة بالغتين، وكان الاعدام والقتل بالمئات والالاف في كل مكان. وعين القيصر ستولبين وكان وزيرا للداخلية محل غورمكين في رئاسة الوزارة، الذي قام بقمع الحركات الثورية، ونفى الاحرار[63]. وفي حزيران من عام 1907 بدأ الانقلاب الرجعي كما سنرى الذي كان ايذانا بنهاية الثورة.

---

[59] فلاديمير اوليانوف لينين، مسألة الارض والنضال في سبيل الحرية، (موسكو: دار التقدم، 1969)، ص10؛ بونوماريوف واخرون، موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي، ص80-81.

[60] اوبيتشكين واخرون، لينين، (موسكو: دار التقدم، 1969)، ص80-81.

[61] يبيفانوف وفيدوسوف، تاريخ الاتحاد السوفيتي، ص518.

[62] اوبيتشكين واخرون، لينين، ص82-83.

[63] صالح، تاريخ اوروبا الحديث، ص129-130، 132.

6.نتائج ثورة 1905:

-تشكيل الاحزاب السياسية:

قوبل البيان القيصري الخاص بإنشاء مجلس الدوما الصادر في 17 تشرين الاول 1905[64]، بالارتياح من جانب البرجوازية الليبرالية، وكان الليبراليون يعدون ان الثورة انتهت، وانها حققت اهدافها، اذ استجاب البيان لمصالحهم بشكل تام. وبدأت البرجوازية منذ تلك اللحظة الانتقال الى مواقع الثورة المضادة، واصبح شعارها(كفى ثورة وعاش النظام)، وبدأت البرجوازية ترص قواها، وتشكل احزابها لكي تجابه القوى الثورية، وعقدت تحالفا علنيا مع الحكم المطلق لأنها خافت من تعاظم الحركة الثورية التي كانت تهدد بالتحول الى انتفاضة مكشوفة. وفي هذا الوقت نشأ حزبان برجوازيان هما حزب الاكتوبريين، وحزب الكاديت، وكان حزب الاكتوبريين(اختصارا لاتحاد السابع عشر من اكتوبر) وهم يمثلون الاحرار المعتدلين ومعظمهم من: كبار الصناعيين، والتجار، واولئك الملاكين العقاريين، واصحاب المصارف، الذين اعادوا بناء اقتصادهم على اسس رأسمالية، وكان يتزعمهم الكسندر جوتشكوف. وكان هذا الحزب الذي ايد البيان القيصري تأييدا تاما يعكس مصالح ذلك القسم من البرجوازية الكبيرة الذي اندمج اوثق الاندماج مع الحكم المطلق[65].ودعا الاكتبوبريون الى اقامة حكومة مرنة، قوية، برلمانية، ولكن على النمط البروسي يتعاون فيها الملك والبرلمان في ادارة الدولة[66].

اما حزب الكاديت(اختصار لاسم الحزب الديموقراطي الدستوري) فكان يعبر عن مصالح البرجوازية المتوسطة التقدمية وهم من الاطباء، والمحامين، واساتذة الجامعات، والمدرسين، وقسم من الملاكين العقاريين، والمثقفين، الذين رفضوا الاعتراف ببيان اكتوبر. وكان الكاديت يمثل حزبا برجوازيا ليبراليا يرمي الى تقاسم السلطة مع القيصر، وكان يعلن عن تضامنه مع مطاليب الشعب خلال مرحلة الاضراب السياسي لعموم روسيا، ولكنه كان ضد اساليب النضال الثورية، ولم يسر ابعد من التمني بإصلاحات معتدلة[67]. وكان الكاديت يدعون لإقامة ملكية دستورية على النمط الانكليزي، وبضرورة مسؤولية الحكومة امام مجلس الدوما يكون فيها القيصر مصونا، وغير مسؤول. وكان

---

64) سنتحدث لاحقا عن هذا البيان.

65) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.98; Beazley and Others, Russia,P.532;

يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص507؛ابراهيم،الجذور التاريخية للثورة البلشفية،ص11؛رمضان،تاريخ اوروبا والعالم الحديث،ج2،ص234؛عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين،التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى،(القاهرة:دار الفكر العربي،1999)،ص399.

66) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.98; Beazley and Others, Russia,P.532;

يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص507؛ابراهيم،الجذور التاريخية للثورة البلشفية،ص11؛رمضان،تاريخ اوروبا والعالم الحديث،ج2،ص234؛نوار وجمال الدين،التاريخ الاوربي الحديث،ص399.

67) يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص508؛ابراهيم،الجذور التاريخية للثورة البلشفية،ص11؛رمضان،تاريخ اوروبا والعالم الحديث،ج2،ص251.

يتزعمهم المؤرخ الروسي بول مليوكوف، ثم غير الحزب اسمه لاحق ليصبح حزب الشعب الحر[68]. وتعرض الكاديت لانتقادات شديدة من قبل الاشتراكيين الديموقراطيين، بسبب رغبته في اقامة ملكية دستورية معارضا بذلك اقامة الجمهورية، ونتيجة لدفاعه عن ملكية الملاكين العقاريين، والاقطاعيين للأرض، كما وافق قمع القيصرية للحركة الثورية، وهاجمهم لينين في كتابه: "انتصار الكاديت ومهام حزب العمال"، وفضح تواطؤهم مع القيصرية، وسماهم ديدان قبور الثورة[69].

فضلا عن الاحزاب البرجوازية كان هناك احزاب اشتراكية بعضها كان تأسس قبل الثورة، والاخر بعد البيان القيصري. ومن الجدير بالذكر ان القوى الاشتراكية كانت تدعو بشكل عام الى تخليص الشعب الروسي من الاوتوقراطية، والرأسمالية، والاقطاعية، والارستقراطية الحاكمة، ونقل ملكية الارض الى الشعب ملكية عامة لا خاصة، وان اختلفت في تنفيذ اساليب هذا الهدف[70]. لذا انقسمت الى ثلاث احزاب هي: الحزب الديموقراطي الاشتراكي وهو حزب ماركسي منقسم الى بلاشفة ومناشفة، وكان الاشتراكيون-الديموقراطيون بشكل عام يؤكدون ان كفاحهم ضد القيصرية كان يهدف الى تحقيق الحرية السياسية، التي هي ضرورية لهم لحشد جميع العمال الروس، على نطاق واسع، وبصورة علنية، في النضال من اجل تنظيم المجتمع تنظيما جديدا، تنظيما افضل، تنظيما اشتراكيا[71].وكان بعض قادة الاشتراكيين الديموقراطيين اكتسبوا شعبية جيدة خلال الاحداث الثورية، ولعل ابرز هؤلاء تروتسكي الذي فهم: "على نحو افضل من جميع الاخرين معنى خوض الصراع على المستوى الوطني الشامل، وخرج من الثورة مسلحا بشعبية هائلة، بينما لم يكتسب لينين، أو مارتوف اي شعبية على الاطلاق"، كما يقول البلشفي لوناشارسكي. وان كان بعضهم خسر الكثير من شعبيته نتيجة مواقفه، ومنهم بيلخانوف الذي اخذ يفقد شعبيته في اوساط الجماهير نتيجة ميوله المشابهة لميول الكاديت[72].وثاني الاحزاب الاشتراكية هو حزب الاشتراكيين الثوريين برئاسة تشيرنوف، وهو حزب يمثل الديموقراطية البرجوازية الصغيرة وكان يسعى لجعل الارض ملكية اجتماعية، اي التمتع الفردي المتساوي بالأرض، الامر كان يعني من حيث الجوهر انشاء اكثر الظروف ملائمة لتطور الرأسمالية[73]. وحزب الاشتراكيين-الشعبيين(الترودوفيك) وعلى رأسهم كيرنسكي[74].

-تشكيل مجلس الدوما:

اجبرت الاحداث الثورية السلطات القيصرية الى اجراء اصلاحات دستورية من اجل امتصاص الغضب الشعبي، فاصدر القيصر في 19 اب 1905 بيانا تضمن انشاء نظام نيابي دستوري، يتمثل في برلمان منتخب يدعى الدوما، ومجلس اعلى يدعى المجلس الامبراطوري. واصدر مراسيم، تتعلق

---

68) نوار وجمال الدين،التاريخ الاوربي الحديث،ص399؛رمضان،تاريخ اوروبا والعالم الحديث،ج2،ص234-235.

69) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم الحديث،ج2،ص252.

70) نوار وجمال الدين،التاريخ الاوربي الحديث،ص400.

71)Lenin,CollectedWorks,(Mosco,1977),Vol:6,P.36; نوار وجمال الدين،التاريخ الاوربي الحديث،ص400؛رمضان،تاريخ اوروبا والعالم الحديث،ج2،ص235.

72) لوناشارسكي،لوحات ثورية،ص28.

73) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم الحديث،ج2،ص235.

74) المصدر نفسه،ج2،ص235.

بالتسامح الديني، والحريات الفردية، واعطى للبولنديين، والليتوانيين، والقوميات الاخرى حق استخدام لغتهم القومية. على ان تلك الاجراءات لم تكن سوى حبر على ورق، لذلك استمرت المظاهرات والاضرابات[75].ونتيجة لذلك اعلن القيصر مرغما في 17 تشرين الاول(اكتوبر) 1905 على بيان وعد فيه بعقد مجلس الدوما الدولة التشريعي، والمجلس الامبراطوري الاعلى، وكان الدوما هو الهيئة العليا للسلطة التشريعية المنتخبة من قبل الشعب، ويمنح هذا المجلس السكان الحريات الديمقراطية، كحرية الكلام والنشر والاجتماعات والمنظمات، وتوسيع الحقوق الانتخابية للشعب[76].وبموجب بيان اكتوبر دعا القيصر الدوما الى الانعقاد على ان تمثل فيه كافة فئات الشعب، كما حدد صلاحيات الدوما في اصدار القوانين التي لا تكون نافذة الا بعد مصادقة مجلس دوما الدولة عليه، وينتخب اعضاء الدوما بالتصويت السري، وخول الشعب حق الاشراف على الجهاز الحكومي، وطالب البيان الحكومة بإجراء انتخابات الدوما بأسرع وقت ممكن[77]. اما المجلس الاعلى الامبراطوري(مجلس الشيوخ) فكان بمثابة الدرع الحصين للأوتوقراطية للحيلولة دون تطرف مجلس الدوما في تشريعاته. وكان نصف اعضاء المجلس الامبراطوري يعينهم القيصر، وتختار النصف الاخر المؤسسات الاخرى في الدولة[78].

كان بيان اكتوبر بمثابة انتصار حقيقي للقوى الثورية وكما عبر لينين عن ذلك بقوله: "وقوف البروليتارية من كافة الشعوب في روسيا وقفة رجل واحد، وهزها للعرش القيصري الذي تسبب في الحاق كل هذه المحن التي لا تحصى بجميع الشعوب وعلى الاخص بالطبقات الكادحة..."[79].

كان النظام الدستوري الذي اقرته السلطات القيصرية والذي سيتم من خلاله وضع قانون الانتخابات لمجلس الدوما يعد من اضعف النظم الدستورية في اوروبا في ذلك الحين، اذ اقتبست نصوصه من دساتير النمسا، وبروسيا، واليابان، ولم يكن يعترف بالمسئولية الوزارية امام الدوما، وكان الانتخاب غير مباشر[80].

نشر القانون الانتخابي في كانون الاول 1905، وحُرم بموجبه الغالبية العظمى من العمال من الحقوق الانتخابية، وكانت الانتخابات متعددة الدرجات والفئات وغير متساوية. اذ وضعت للفلاحين انتخابات مؤلفة من اربع درجات، كانوا ينتخبون ممثلين الى اجتماع الناحية، الذي كان يرسل بدوره اثنين من المفوضين الى مؤتمر القضاء، وكان هذا بدوره يختار الممثلين الى مجلس المحافظة، وكانت مجالس المحافظات وحدها تختار النواب الى الدوما. اما فيما يتعلق بالعمال وضعت لهم انتخابات من ثلاث درجات ،ومن درجتين للدوفريان، والبرجوازية. وكان معدل التمثيل للفئات متنوعا ايضا، اذ يرسل الدوفريان(الملاكين العقاريين) ممثلا واحدا عن كل 2000 ناخب ،اما سكان المدن البرجوازية فكان

---

[75]) Beazley and Others, Russia,P.528.

[76]) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.78; Beazley and Others, Russia,P.530;

يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص507؛دريفوس واخرون،موسوعة تاريخ اوروبا العام،ج3،ص259؛رمضان،تاريخ اوروبا والعالم الحديث،ج2،ص234، 250.

[77]) ابراهيم،الجذور التاريخية للثورة البلشفية،ص10.

[78]) صالح،تاريخ اوروبا الحديث،ص130.

[79]) سليبوف،الحزب الشيوعي السوفيتي،ص42.

[80]) رمضان،تاريخ اوروبا والعالم الحديث،ج2،ص234.

يرسلون ممثلا واحدا عن 7000 ،والفلاحون عن كل 30,000 ،والعمال عن كل 90,000، ولكي تنال البرجوازية الافضلية، وضعت لسكان المدن شروط ملكية عالية، اذ لم يحصل على الحقوق الانتخابية العمال الزراعيون، والفلاحون الذين لا يملكون ارضا، وعدد من الفئات الاخرى منها الشغيلة، ولم تكن الحقوق الانتخابية تمنح النساء، والعسكرين، والطلاب، وعين عمر المشتركين في الانتخابات لمن يبلغ الخامسة والعشرين من العمر. كان القانون الانتخابي موجها لإقصاء العناصر الاكثر ثورية عن الانتخابات، ولمنح الافضلية القصوى للطبقتين السائدتين أي الملاك العقاريين، والبرجوازية[81].

في اذار 1906 اصدر القيصر مرسوما بين فيه عدم صلاحية البرلمان لمناقشة القوانين الدستورية للدولة، وان القيصر هو القائد العام، والرئيس الاعلى للجيش، والبحرية، والسياسة الخارجية من صلاحياته المطلقة، وبموافقته يستطيع الوزراء اصدار المراسيم خلال عطلة البرلمان، ثم اقال دي ويت من رئاسة الوزراء، وعين غورمكين الهرم الذي كان الة بيد الرجعية، كما عين بطرس ستولبين وزيرا للداخلية[82].

كانت حقوق الدوما التشريعية مبتورة، اذ حصلت الهيئة البيروقراطية العليا في روسيا القيصرية، أي المجلس الامبراطوري ،على حقوق المجلس الاعلى في الدوما. وكان يحق للمجلس ان لا يصادق على مشاريع القوانين المطروحة من قبل دوما الدولة. وهكذا بقت روسيا ذات حكم مطلق، وكانت مشاريع القوانين لم تحصل على قوة القانون الا بعد ان يوافق عليها القيصر، الذي يستطيع بمفرده بين دورتي الدوما اصدار مراسيم تقدم فيما بعد للتصديق عليها من قبل الدوما، وبهذا الشكل كانت حقوق الدوما التشريعية غير كبيرة [83].كما ان المرسوم الوزاري يصبح قانونا في مدة شهرين من اجتماع الدوما، اذا لم يشرع الاخير قوانين بهذا الخصوص. وكانت صلاحيات الدوما تقتصر على التصويت على الميزانية دون معرفة النفقات الدفاعية. واذا لم يسن الدوما قوانين بشأن التجنيد والميزانية في اول ايار من كل سنة، فتستطيع الحكومة عندئذ ان تشرع القوانين بهذا الخصوص مستخدمة الاحصائيات السابقة.[84].

دعا البلاشفة، على العكس من المناشفة ، والاشتراكيون الثوريون الى مقاطعة الدوما، ورفعوا شعار اقامة: "لجنة تنفيذية يسارية، اشتراكية، ديموقراطية"، وتنظيم النضال الفعلي للجماهير، املين بنهوض جديد للنضال الثوري، وفضحوا في دعايتهم الطابع الرجعي للتشريع القيصري، وايدت فئات كبيرة من العمال خطة المقاطعة، ولكن الفلاحين كانوا يؤمنون بالدوما، ويأملون ان تعطيهم الارض. وهكذا اخذت الحركة الثورية تتقلص لان خطة مقاطعة الدوما لم تعط النتائج المرجوة. وجرت الانتخابات لمجلس دوما الدولة في ظروف اعمال قمع الشرطة الشديدة، ورافقتها اعتقالات جماعية، وحملات تفتيشية، وغصت السجون بالمعتقلين، وكانوا يعتقلون الفلاحين ومعلمي المدارس، والمرضين، وكل من اعتبرته السلطات المحلية

---

[81]) يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص519.

[82]) صالح،تاريخ اوروبا الحديث،ص130؛دريفوس واخرون،موسوعة تاريخ اوروبا العام،ج3،ص260.

[83]) يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص519-520؛نوار وجمال الدين،التاريخ الاوربي الحديث،ص399.

[84]) صالح،تاريخ اوروبا الحديث،ص130؛دريفوس واخرون،موسوعة تاريخ اوروبا العام،ج3،ص260.

مشتبها فيه. ومع ذلك جاء تركيب الدوما غير طيع كما املت الحكومة القيصرية، اذ كان اعضاء مجلس الدوما ينتمون الى عدة احزاب سياسية كلها تعارض الاوتوقراطية الروسية وان كانت بدرجات متفاوتة. وشكل الترودوفيك وهم النواب الفلاحين زهاء ربع النواب، ونال البرجوازيون الكاديت الذين وعدوا الشعب بحل المسألة الزراعية، وتحقيق الحريات الديمقراطية عمليا، العدد الاكبر من الاصوات اذ بلغت عدد مقاعدهم 200 مقعدا، في حين حاز الاكتوبريون على 17 مقعد. وكانت الكتلة الاشتراكية-الديمقراطية غير كبيرة تتألف من المناشفة فقط. وجرت اعمال الدوما في ظروف لم تكن الثورة فيها قد دحرت، ولذلك اثر نضال العمال والفلاحين على مواقف بعض الجماعات في الدوما[85].

حرصت الحكومة القيصرية على الابقاء على الحكم المطلق، في ظل الصلاحيات المحدودة للدوما، وفي اول جلسة للدوما حصل نزاع بين الكاديت والحكومة، اذ طالب الكاديت بتشكيل حكومة مسؤولة امام الدوما، كما طالبوا بإصدار العفو العام عن السجناء السياسيين، وتوسيع الحقوق التشريعية للمجلس، والغاء المجلس الاعلى، فضلا عن المطالبة بالحريات، والمساواة المدنية، والنظام البرلماني، والاصلاح الزراعي، الامر الذي لاقى معارضة كبيرة من قبل القيصر، ورئيس الوزراء غورمكين[86].

شغلت المسألة الزراعية المكان الرئيس في نشاط الدوما، وكان هناك حلان رئيسان مطروحان: حل الترودوفيك اي النواب الفلاحين، وحل الكاديت. طرح الترودوفيك مشروعا ثوريا ديموقراطيا لحل المسألة الزراعية. فاقترحوا نقل الارض كلها للشعب، الذي ستقتسمه لجان الفلاحين. وكان على لجان الفلاحين كذلك تحديد حجم التعويض المقدم للملاكين العقاريين، واكد المشروع في الواقع الى تصفية ملكية الملاكين العقاريين للأرض، بالرغم من انه اعطى الملاكين العقاريين تعويضا عن الاراضي التي تنتزع منهم[87]. الحقيقة كان الترودوفيك في الدوما في اول الامر بموقع وسط بين الكاديت، والاشتراكيين الثوريين، اي بين التعويض عن قسم من الاراضي، وبين مصادرة جميع الاراضي، ولكنهم في النهاية اخذوا يبتعدون اكثر فاكثر عن الكاديت، ويقتربون من مشروع الاشتراكيين-الثوريين. وكان الاشتراكيون-الثوريون قدموا مشروعا نشروه في جريدتهم ناروني فيستنيك كان عبارة عن قانون حول الغاء كل ملكية خاصة للأرض و: "التمتع المتساوي العام بالأرض"[88].

85) Lenin,Collected Works,Vol:18,P.486; Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.85, 88;

يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص520؛صالح،تاريخ اوروبا الحديث،ص130؛ابراهيم،الجذور التاريخية للثورة البلشفية،ص13؛رمضان،تاريخ اوروبا والعالم الحديث،ج2،ص234؛الكيالي،موسوعة السياسة،ج1،ص412-413.

86) دريفوس واخرون،موسوعة تاريخ اوروبا العام،ج3،ص260؛ابراهيم،الجذور التاريخية للثورة البلشفية،ص13.

87) لينين،مسألة الارض والنضال في سبيل الحرية،ص10؛لينين،التحالف بين العمال والفلاحين،ص197؛يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص520-521؛بونوماريوف واخرون،موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،ص83.

88) لينين،مسألة الارض والنضال في سبيل الحرية،ص4-5؛لينين،التحالف بين العمال والفلاحين،ص201.

بالمقابل قدم الكاديت مشروعا زراعيا اكثر اعتدالا يرتأى اعطاء جزءا من اراضي الملاكين العقاريين للفلاحين مقابل التعويض (بتقدير عادل)[89]. كان الكاديت حزب يضم عددا كبيرا من الملاكين العقاريين الليبراليين، لذا كان هذا الحزب يجهد نفسه دفاعا عن مصلح الملاكين العقاريين الليبراليين. لذا فان مشروع الكاديت جاء من اجل حماية الملكيات العقارية الكبيرة الخاصة، قدر الامكان، رافضين ان يساندوا انتقال جميع اراضي الملاكين العقاريين الى الفلاحين. واذ يعلن الكاديت انهم يصرون على الزام الفلاحين بالتعويض عن الاراضي، اي شراء اراضي الملاكين العقاريين، وأيا كان الثمن العادل المحدد، فإن التعويض سيظل ابدا اقرب الى متناول الفلاحين الميسورين، وسيثقل كاهل الفلاحين الفقراء الى حد كبير، ومهما كانت الاحكام المقررة على الورق فيما يتعلق بالزام المشاعات بدفع التعويضات، فإن الارض ستظل مع ذلك في ايدي الذين يستطيعون التعويض عنها. وعليه يقصد التعويض عن الارض زيادة قوة الفلاحين الاغنياء على حساب الفلاحين الفقراء، ومن ثم تفريق صفوف الفلاحين، وعن طريق هذا التفريق، سيتم اضعاف نضال الفلاحين في سبيل الحرية التامة، وفي سبيل الظفر بجميع الاراضي. فالقصد من التعويض صرف الفلاحين الميسورين عن قضية الحرية، وكسبهم الى جانب السلطة. فالفلاح الميسور، بدفعه التعويض عن الارض، يصبح ملاكا عقاريا صغيرا، ويغدو انتقاله الى جانب السلطة، سلطة الملاكين العقاريين، والبيروقراطية، امرا سهلا[90].

لكن الحكومة المستاءة من مجلس الدوما قررت ان لا تتنازل، وتقرر احد المشروعين، حتى ان رئيس مجلس الوزراء غورمكين قال انه تجمع في الدوما: "اوغاد قذرون من بين السكان وشكلوا عصابة لصوص"[91].

اعلنت المعارضة المتمثلة بالبلاشفة عن رفضها لكل المشاريع السابقة الخاصة بالمسألة الزراعية، وكانوا هم بالمقابل قدموا مشروعا لحل المسألة الزراعية يتلخص في النقاط التالية:

1.مصادرة جميع الاراضي التي تخص الكنيسة، والاديرة، والعائلة القيصرية، والدولة، والتاج، والملاكين العقاريين.

2.انشاء لجان فلاحية مهمتها ان تمحو فورا جميع اثار حكم الملاكين العقاريين وامتيازاتهم، وان توزع الاراضي المصادرة بانتظار النظام الزراعي الجديد الذي ستقره الجمعية التأسيسية الشعبية.

3.الغاء جميع الرسوم، والتكاليف التي يتحملها الان الفلاحون، بوصفهم فئة خاضعة للضريبة.

4.الغاء جميع القوانين التي تمنع الفلاحين من حرية التصرف بأراضيهم.

5.منح المحاكم التي ينتخبها الشعب حق تخفيض البدلات الفاحشة لإيجار الاراضي[92].

---

[89]) لينين،مسألة الارض والنضال في سبيل الحرية،ص11؛لينين،التحالف بين العمال والفلاحين،ص196-197؛ييفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص521؛بونوماريوف واخرون،موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،ص83.

[90]) لينين،مسألة الارض والنضال في سبيل الحرية،ص3؛لينين،التحالف بين العمال والفلاحين،ص199-200.

[91]) منتس،كيف حدثت ثورة اكتوبر،ص20-21.

[92]) لينين،التحالف بين العمال والفلاحين،ص178-179؛ب.لونياكوف وأ.غونتشاروف،لينين والفلاحون،(موسكو:منشورات وكالة انباء نوفوستي،بلا.ت)،ص6.

في تموز 1906 حل القيصر الدوما الذي استمر 72 يوما فقط، وكلف ستولبين بتشكيل الحكومة، الذي عمل على انشاء المحاكم العرفية، واصبحت الصحف والجامعات تخضع لرقابة دقيقة، فاشتد الارهاب المعادي للثورة، وفي اب تشكلت محاكم عسكرية حكمت بالموت على ما يقارب من الف شخص خلال ستة اشهر، واقتنع الشعب ان الحكم المطلق لا يريد ان يقوم بأي عمل من شأنه تحسين حالة الشعب، وان مجلس الدوما الذي عقدته الحكومة لا يتمتع بأي سلطة واقعية[93].

ولكن بالرغم من ذلك استمرت الطبقة العمالية والفلاحية نشاطاتهم الثورية، والذي اضطر الحكم المطلق بعد ان حل مجلس الدوما الاول ان يعلن عن اجراء انتخابات الى مجلس الدوما الجديد محتفظا بالقانون الانتخابي القديم. وفي بداية عام 1907 جرت انتخابات مجلس الدوما الثاني، وقرر البلاشفة المشاركة في الحملة الانتخابية، والاستفادة من منبر الدوما لمهاجمة القيصرية والبرجوازية. ونتيجة اشتراك البلاشفة وبعض الاحزاب الاخرى في الانتخابات، فقد الكاديت عددا ملحوظا من المقاعد في حين ازداد عدد مقاعد الاحزاب اليسارية الترودوفيك، والاشتراكيين الثوريين والاشتراكيين الديمقراطيين[94]. كانت النسب التي حصلت عليها القوى السياسية في الدوما الثاني متساوية الى حد ما. اذ حصل الترودفيك على 100 نائبا، والاشتراكيون الشعبيون نائبا، والاشتراكيون الثوريون 34 نائبا، والاشتراكيون الديموقراطيون على 64 نائبا، اي مجموع القوى الاشتراكية 212 نائبا، اما القوى البرجوازية: حصل الكاديت على 91 نائبا، والكولو البولوني 46 نائبا، واللاحزبيون 52 نائبا، والاكتوبريون 32 نائبا، اي بالإجمال 221 نائبا[95].

قدم الترودوفيك من جديد مشروع القانون الزراعي الذي ينص على تصفية ملكية الملاكيين العقاريين للأرض ،أي الى ثورة زراعية. اما النواب المائة السود[96]، والاكتوبريين فاتحدوا ضد المشروع الذي تقدم به الترودوفيك، وايدوا مشروع القانون الزراعي الرجعي الذي قدمته الحكومة، في وقت تقدم الكاديت بمشروع قانون زراعي كان اكثر اعتدالا من مشروعهم الاول. وكان موقف الحكومة من هذا القانون هي انتهاج سياسة رجعية للقضاء نهائيا على الثورة، فحاكت ضد الكتلة الاشتراكية-الديمقراطية في دوما الدولة تهمة استفزازية وهي اجراء التحضير لانقلاب مسلح. وبما ان نواب الدولة كانوا وفقا للقانون يتمتعون بالحصانة (كان لا يجوز اعتقالهم)، اقترحت الحكومة على مجلس دوما ان يطرد النواب الاشتراكيين-الديمقراطيين من هيئته .واستغلت القيصرية تأخر الرد، فحلت في 3 حزيران

93) Beazley and Others, Russia,P.546;

بونوماريوف واخرون،موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،ص83؛دريفوس واخرون،موسوعة تاريخ اوروبا العام،ج3،ص260؛ابراهيم،الجذور التاريخية للثورة البلشفية،ص14.

94) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.89;Beazley and Others, Russia,P.546;

بيبفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص522.

95) لينين،التحالف بين العمال والفلاحين،ص205.

96) المائة السود: وهي عصابات ملكية شكلتها الشرطة القيصرية لمكافحة الحركات الثورية. انظر: جورج صوريا،300 يوم من الثورة الروسية: مشاهدات ووثائق، ترجمة: اكرم ديري،(القاهرة: دار المصرية للكتب،1972)،ص210.

1907 مجلس الدوما الثاني، وتم اعتقال الكتلة الاشتراكية –الديمقراطية كلها، وكان هذا انتهاكا للبيان القيصري الصادر في 17 تشرين الاول عام 1905، والقوانين الاخرى التي صدرت اثناء الثورة، وكان هذا اعلانا بفشل الثورة التي استمرت من عام 1905-1907[97]. وفي 14 حزيران اصدرت الحكومة بيانا سمح بموجبه للطبقات العاملة والفلاحين بان تمثل في الدوما بنسبة 36%، وانخفض التمثيل البولندي من 37-12%، والقوقازي من 29-9%، والسيبيري من 21-14%، واسيا الوسطى من 23-1%. وبموجب تلك الاجراءات القسرية اطلق عنان الحكم المطلق في روسيا، وانكمشت الحركة الثورية، وتراجعت السلطة عن الاصلاحات، وتم تعديل نظام الانتخابات بان يصبح بشكل غير مباشر، وعلى الاساس الطبقي[98].

7.اسباب فشل الثورة 1905-1907:

استمرت الثورة لثلاث سنوات، حيث اضطرت الحكومة للقيام بتنازلات، وان توسع بعض من الحقوق السياسية للعمال والفلاحين، وجرى تخفيض ساعات يوم العمل في عدد من فروع الصناعة وحسنت شروط العمل. ونال العمال حق الاتحاد في النقابات، وتأسيس صناديق للمساعدة المتبادلة، والغاء تعويضات الفلاحين من اجل الارض، وتخفيض قيمة استئجار الاراضي، وازدياد اجور العمال الزراعين، لكن على الرغم من هذه الانجازات التي حققتها الثورة، الا انها فشلت في القضاء على الحكم المطلق. اما اسباب فشل الثورة فتتلخص فيما يلي :

-لم يصبح تحالف الطبقة العاملة والفلاحين وطيدا بما فيه الكفاية، فهو كان يتشكل فقط اثناء الثورة ذاتها، وكان الفلاحون لا يزالون يعلقون الآمال على القيصر والدوما ظنا منهم انهم سيحصلون بمساعدتهما على اراضي الملاكين العقاريين، وظلت نضالات العمال عفوية وغير منظمة، وغير ناضجة من الوجهة السياسية.

-انعكست مشاعر الفلاحين في سلوك الجيش، ورغم ان ذلك ادى الى استياء الجنود، وانتفاض بعض الحاميات، والوحدات، الا ان الجيش بقي اجمالا يعلن تأييده للحكم المطلق، وكان ينفذ اؤمره في قمع الحركة الثورية.

-لم تكن الطبقة العاملة متراصة، ومنظمة بصورة كافية. كما انخرطت فئات العمال المختلفة اكثر من غيرها في النضال متأخرة، حين سارت الثورة في طريق التقلص. وكان عمال كثيرون قطعوا صلتهم بالقرية قبل وقت قصير وكانوا غير واعين وعيا كافيا.

-لم تكن هناك وحدة في صفوف حزب الطبقة العاملة، اذ كان الحزب منقسما الى جماعتين: البلاشفة، والمناشفة.

-قدمت الدول الرأسمالية الاجنبية للقيصرية مساعدة كبيرة، اذ منحت الحكم المطلق قرضا استخدمته القيصرية لقمع الثورة.

ثانيا: الحركة العمالية والفلاحية بين 1907-1914.

1.الحركة العمالية والفلاحية 1907-1910...الانقلاب الرجعي:

شهد عام 1907 تراجعا كبيرا في الحركة الثورية رغم محاولات البلاشفة في الاستمرار في تأجيج الحركة الثورية، وفي اواخر نيسان 1907 سافر لينين الى لندن حيث انعقاد المؤتمر الخامس لحزب العمال الاشتراكي الديموقراطي الروسي، وحضر المؤتمر زعماء البلاشفة البارزين ومنهم:

[97]) يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص521-522؛بونوماريوف واخرون،موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،ص84.

[98]) ابراهيم،الجذور التاريخية للثورة البلشفية،ص14.

بوبنوف، فوروشيلوف، دوبروفينسكي، ليادوف، تسخاكايا، شاوميان، ياروسلافسكي وغيرهم. وطالب البلاشفة في هذا المؤتمر الطبقة العاملة بالنضال ضد الاحزاب البرجوازية المتحالفة مع السلطة من امثال: المائة السود، وحزب الكاديت. ولكنه اقروا بضرورة التحالف مع الترودوفيك، الذين كانوا يعبرون عن مصالح الفلاحين، والبرجوازية الصغيرة في المدن[99].

كانت احداث 3 حزيران 1907 أي حل مجلس الدوما الثاني، والغاء القانون الانتخابي الذي صدر في مجرى الثورة والتي سميت بالانقلاب، هو الدلالة الفعلية على هزيمة الثورة، وعلى هجوم الرجعية، واصبح منفذ سياسة الحكومة المعادية للثورة ب.ا. ستوليبين، الرئيس الجديد لمجلس الوزراء، والذي كان قد كشف نفسه في ابان الثورة انه جلاد، وعدو للثورة. وساد في البلاد محاكم الميادين العسكرية التي كانت تصدر احكاما قاسية ضد المشتركين في الثورة، وبلغ عدد حكم الاعداد طيلة ثلاث سنوات زهاء 5000، وكما لاحقت الحكومة زعماء البلاشفة، ومنهم لينين الذي استطاع ان يهرب الى خارج البلاد، كما لوحقت المنظمات العمالية، واغلقت اكثر من 600 نقابة، وتعاظم نشاط الكنيسة الأرثدوكسية المعادية للثورة. حاولت الحكومة الخروج من الازمة الثورية عن طريق اعادة بناء الحكم المطلق، وتحويله الى ملكية برجوازية، واضطر الحكم المطلق الابقاء على مجلس الدوما كمظهر للهيئة الدستورية، ولكنة اتخذ الى جانب ذلك التدابير ليكفل له في الدوما تركيبا طيعا، وطبق لهذه الغاية قانون انتخابي جديد ذو طابع اكثر رجعية عن القانون القديم. فأبقى على جميع قيود الحق الانتخابي بالنسبة للفئات الواسعة للسكان منها انتخابات متعددة الدرجات، وطابعه الطبقي، ومؤهلات التمليك والعمر، وحرمان النساء، والطلبة والعسكريين، وغيرهم من الحقوق الانتخابية، وكما جرى اعادة توزيع الممثلين لمصلحة الملاكين العقاريين، والبرجوازية الكبيرة، فنال الملاكون العقاريون الكبار نصف مجموع عدد الممثلين في مجلس الدوما، اما الطبقة العاملة والفلاحون فنالوا الربع فقط[100].وكانت الشعوب في الاطراف القومية من روسيا محرومة بشكل عام من حق التمثيل في الدوما (شعوب اسيا الوسطى، وياكوتيا، والشعوب الرحالة). ونالت الشعوب الاخرى في القفقاس، وبولونيا مقاعد نيابية اقل بكثير، وكان القانون الانتخابي معاديا للثورة والشعب. جرت انتخابات مجلس الدوما الدولة الثالث في ظروف صعبة من اعتقالات جماعية، ونتيجة القانون الجديد حصلت الاحزاب المعادية للثورة على الاكثرية الساحق في مجلس الدوما، اذ فاز اليمنيون 147 مقعدا، والاكتوبريون بـ154، والبرجوازيون الليبراليون بـ108 مقعد، وانخفض عدد النواب اليساريين الاشتراكيين –الديمقراطيين، والترودوفيك الى 19 مقعد ثم نقص هذا العدد الى 14 مقعد بعد خروج عدد من الشخصيات التي كانت موجودة بالصدفة. وكان مجلس الدوما المؤلف من البرجوازية والملاكيين العقاريين هي الصفة السائدة في هذا المجلس الذي اصبح اداة طيعة في يد الحكومة في سياستها الرامية للقضاء على الثورة[101].

---

[99]) اوبيتشكين واخرون،لينين،ص83-85.

[100]) بيبفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص527-528.

[101]) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.97;

كانت السياسة التي اتبعتها القيصرية في محاولة لحل المسألة الزراعية في هذه الفترة اتباع طريق تقويض المشاعة الفلاحية التي كانت تشكل الوسيلة المناسبة لجباية الضرائب، ولاستغلال الفلاحين من قبل الملاكين العقاريين. اذ كانت المشاعة الفلاحية مسؤولة عن كل فلاح في دفع الضرائب، وقيمة الاستئجار، وفي تنفيذ مختلف فروض الطاعة، الا ان المشاعة اخذت تتقوض باستمرار نتيجة تطور الرأسمالية، فأنقسم الفلاحون الى كولاك وفقراء[102]. وكانت من النتائج التي اثمرتها ثورة 1905 سلك الحكم المطلق طريق تشجيع طبقة الكولاك، وتكوين فئة كبيرة من البرجوازية الزراعية في القرية، فكان الكولاك يشترون الارض من الفلاحين الفقراء، ويتعاطون الربا، ويستغلون ابناء قريتهم الذين وقعوا في براثن الفاقة[103].ورغم صدور مرسوم في 9 تشرين الثاني 1906 الذي تمكن من تقويض المشاعة، اذ نص هذا المرسوم على تقويض الاستخدام المشاعي للأرض، وبذلك نال كل فلاح الحق في ان ينفصل عن المشاعة، وان يمتلك قطعة ارض لتكون ملكا فرديا له، وكان يستطيع ان يبيع هذه القطعة، وان يخلفها بالوراثة، وكما نال الفلاح حق امتلاك قطع الارض المبعثرة، وكان يستطيع ان يطلب من المشاعة الفلاحية ان تجمع قطع اراضيه في قطعة واحده سميت (الاوتروب).الا ان الحكومة لم تستطع اثناء الثورة ان تمرره في مجلس الدوما، وصادق عليه مجلس الدوما الثالث الاكثر معاداة للثورة. ورافقت عملية تقويض المشاعة، تدابير قمعية واسعة واعمال عنف ضد الفلاحين، وسوء تصرف الموظفين، ونهب وافقار القرية، وكانت الشرطة والقوات العسكرية تقمع بقسوة اقل بادرة تبدر من جانب الفلاحين. رغم عمل الحكومة على تقويض نظام المشاعة، فخلال السنوات اللاحقة خرج من المشاعة زهاء 23% من الفلاحين، واستملكوا الاراضي بشكل فردي، وقطع10,6% علاقتهم نهائيا بالمشاعة، واقاموا الخوتورات(قطع اراضي منعزلة في منطقة ريفية وفيها دار الملاك)، ولكن ذلك الاصلاح عجل عملية تمايز الفلاحين أي اثراء قسم من الفلاحين وافقار القسم الاخر. فأصبح وضع السواد الاعظم من الفلاحين اكثرترديا، وعارض الفلاحون بكل قواهم تنفيذ هذا الاصلاح لأنه جلب لهم المزيد من الخراب والفقر. إن الاصلاح الذي نفذته الحكومة لم يقض على التناقض بين الفلاحين والملاكين العقاريين، بل ادى الى تزايد الصراع بين فقراء الفلاحين والكولاك، واكتسبت اعمال حرق الخوتورات، واتلاف المحاصيل، وحصاد مراعي المزروعات الكولاك طابعا جماهيريا، واحتدمت في الريف حرب اجتماعية بين الفلاحين والبرجوازية الريفية. واتبعت الحكومة سياسة تشجع بنزوح الفلاحين من المحافظات الوسطى الى مناطق الارياف –الى سيبيريا، واسيا الوسطى والقفقاس. وامل الحكم المطلق بواسطة سياسة النزوح بحل مشكلتين :تخفيف حاجة الفلاحين الى الارض بشكل نسبي، وان يسكن في الاطراف قسما من الفلاحين الاكثر استياء، وان يضعف بهذه الطريقة الحركة الشعبية في البلاد. واعطوا النازحين قطع ارض على حساب السكان المحليين. وبهذا العمل احجبت الحكومة العداء القومي، وشددت من السياسة الاستعمارية فيما يتعلق بشعوب البلاد. ولكن سياسة النزوح لم تعطي كذلك نتائج كبيرة، وجرى

يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص529؛ابراهيم،الجذور التاريخية للثورة البلشفية،ص14.

[102]) يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص530.

[103]) المصدر نفسه،ص464.

النزوح في ظروف صعبة، وكان التسليف الحكومي صعب في المناطق النائية البعيدة عن خطوط السكك الحديد، فكان لابد من القيام بعمل كبير وصرف مبالغ كبيرة لإقامة الاستثمارات في الاراضي التي حصل عليها النازحون، وكان الفقراء عاجزين عن ذلك، فعاد الكثيرون منهم بعد ان تدهورت اوضاعهم كليا. وعاد 64% من النازحين الى اماكن سكنهم القديمة عام 1911. وبذلك تكون السياسة القيصرية منيت بالفشل لحل المشكلة الزراعية[104].

تلقت الحركة العمالية خلال هذه الفترة ضربات موجعة، في ظل الركود الاقتصادي الذي كانت تعاني منه روسيا، فتقلص الانتاج الصناعي، واغلقت المصانع والمعامل الصغيرة ابوابها، واغتنم الصناعيون الكبار هذا الركود ليشنوا هجوما على العمال، فقاموا بتسريحات جماعية للعمال الذين اشتركوا في الحركة الثورية، وزادوا مدة يوم العمل، وخفضوا الاجور، كما سجلوا اسماء العمال الثوريين في (القوائم السوداء)، ولم يقبلوهم في العمل في أي مكان، وبذلك استطاعت الحكومة والرأسماليون مؤقتا من قمع الحركة العمالية. فهبط عدد الاضرابات بصورة شديدة، وانعكس هبوط الحركة العمالية كذلك في كون الاغلبية الساحقة من الاضرابات كانت تحمل طابعا اقتصاديا مع العلم ان القليل منها فقط تكلل بالنجاح بالنسبة للعمال، وكانت الحكومة القيصرية تقمع الاضرابات بوحشية، وتعتقل المتظاهرون، وتزج بهم في السجون، اذ يرسلون الى الاعمال الشاقة. ولكن برغم هذه الاجراءات القمعية لم تستطع الحكومة القيصرية من القضاء على الحركة الثورية نهائيا، اذ استمرت الاضرابات، وزاد عدد المشتركون في الحركة الثورية، وان كانوا اقل من السابق[105].

اما البلاشفة فانهم عانوا الكثير في عهد الانقلاب الرجعي، واستأنف لينين وانصاره اصدار صحيفة البروليتاري في جنيف التي تمثل صحيفة البلاشفة المركزية، واشترك عدد من قادة البلاشفة في عمل الصحيفة من امثال غوركي، ولوناشارسكي، وتطلب تنظيم الصحيفة عملا كبيرا، اذ لم يكن الهدف هو اصدارها فحسب، بل كيفية ايصالها الى روسيا. وفي اواخر شباط 1908 بدأت صحيفة البروليتاري بالصدور مجددا. وفي اواخر عام 1908 نقل مكان صحيفة البروليتاري الى باريس التي كانت في ذلك الوقت مركز الهجرة الروسية. اما المناشفة فبعد هزيمة الثورة سارعوا الى تصفية منظماتهم السرية، والتوقف عن العمل الثوري السري ولهذا عرفوا بالتصفويين، واخذوا يدعون الطبقة العاملة الى التفاهم مع البرجوازية والتسليم بالأنظمة الرجعية[106].

2.الحركة العمالية والفلاحية خلال1910-1914...فترة النهوض الثوري الجديد:

خلال سنوات 1910 -1911 شهدت روسيا موجة جديدة من الاضرابات، والمظاهرات العمالية، وقام البلاشفة بتحريض الثوريين عن طريق الدعاية في المنشورات، كما اخذت اضرابات العمال تجري تحت شعارات اقتصادية، وتطالب بمطاليب سياسية واسعة. ففي صيف 1910 انفجر اضراب العمال في موسكو، الذي تظاهروا ضد الاستثمار الوحشي اللاإنساني، والاجور الزهيدة[107]، وخريف

[104]) المصدر نفسه،ص532-534.

[105]) المصدر نفسه،ص534.

[106]) اوبيتشكين واخرون،لينين،ص89-92.

[107]) بونوماريوف واخرون،موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،ص96.

العام نفسه جرت في بطرسبورغ وموسكو وغيرهما من المدن مظاهرات سياسية ضد السلطات القيصرية، وطلب عمال بطرسبورغ بمبادرة من البلاشفة إلغاء حكم الاعدام، وفي عام 1911 طلبت الاجتماعات الجماهيرية، والمظاهرات التي قام بها العمال اعادة النظر في الحكم الجائر بحق النواب الاشتراكيين-الديمقراطيين في مجلس الدوما الثاني. وكانت حوادث مناجم الذهب على نهر لينا عام 1912 حافزا جبارا لتطوير الحركة العمالية، اذ كانت مناجم الذهب على نهر لينا مؤسسة ضخمة، وكان قسم كبير من اسهمها يخص الرأسماليين الانكليز، وكانت هذه المناجم الواقعة في اعماق التايغا السيبيرية، وكان العمال في حالة من التبعية الكاملة للإدارة المحلية، في وقت جنى اصحاب هذه المناجم من روس واجانب ارباحا هائلة. في وقت كان وضع العمال صعبا للغاية، ويوم العمل يستمر 14-16 ساعة، والاجور متدنية، وتتقلص بسبب الغرامات، والغش في دفع الاجور، ووزن وقياس كميات الذهب لدى تسليمه. ولم يكن هناك وجود للأمن الصناعي، فالعمال كانوا يعيشون في ثكنات باردة، وفي ظروف غير صحية، ورهيبة، وكان النساء، والقاصرون يشتغلون كالرجال ولكنهم يحصلون على اجور اقل بكثير، وكان القسم الاكبر من الاجور يدفع للعمال على شكل بطاقات يشترون بها المواد الغذائية من مخازن اصحاب العمل، الذين كانوا هم الذين يحددون اسعار المواد الغذائية[(108)].

خلال فترة النهوض الثوري حث لينين البلاشفة ان يحيوا الصحافة الماركسية العلنية، التي حطمت في سنوات الرجعية، واصدر البلاشفة صحيفة زفيزدا الاسبوعية في بطرسبورغ في كانون الاول 1910، ومجلة ميسل في موسكو[(109)].

شهد عام 1912 تعاظم الوعي الثوري لدى البروليتارية الروسية ،ففي هذا العام اضرب اكثر من مليون شخص. وكانت ابرز تلك الاضرابات التي حدثت في نهاية شباط من عام 1912، اذ بدأ اضراب في منجم اندرييفسكي، وكان بيع اللحم الفاسد في المخزن سبب هذا الاضراب. وبعد بضعة ايام انضم للإضراب عمال كافة المناجم، وبمبادرة من البلاشفة شكلت لجان اضراب اتحدت في لجنة الاضراب المركزية. واتسم الاضراب بطابع سلمي ومنظم، وطالب العمال بيوم عمل من ثماني ساعات، وبزيادة الاجور، والغاء الغرامات، وتحسين المؤونة، وشروط السكن، وبالمعاملة اللائقة بالإنسان، ولكن الادارة رفضت ان تقوم بأي تنازل واجابت متوعدة بتسريح العمال، وبطردهم من المساكن التي يعيشون فيها، وقطع المواد الغذائية عنهم، وتعرض العمال مع عائلاتهم للموت من الجوع والبرد، لان النزوح عن منطقة المناجم في هذا الفصل من السنة كان مستحيلا، ولكن المضربين صمدوا بثبات ولم يسمحوا للشرطة بطردهم. وعند ذلك قررت السلطات القيصرية ان تقمع الاضراب بعنف، فأعتقل اعضاء لجنة الاضراب المركزية، فتوجه العمال الساخطون في 3 نيسان 1912 لتقديم شكوى من تعسف الشرطة الى المدعي العام الذي كان في احد المناجم. فقطعت الشرطة والقوات العسكرية الطريق على العمال، وقاموا بإطلاق النار على العمال فجرحوا اكثر من 500 شخص في هذه المجزرة الدامية. اثارت تصرفات القيصرية السخط العارم لدى عمال روسيا بأسرها، فهبت في كل انحاء

---

[108]) بيبفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص537-538؛بونوماريوف واخرون،موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،ص96-99؛رمضان،تاريخ اوروبا والعالم الحديث،ج2،ص253.

[109]) اوبيتشكين واخرون،لينين،ص105-106.

البلاد مظاهرات، واجتماعات جماهيرية، واضرابات احتجاج. وعندما قُدم وزير الداخلية ماكاروف للاستجواب حول تلك المجزرة اجاب نواب مجلس الدوما الاشتراكيين –الديمقراطيين: "هكذا كان وهكذا سيكون في المستقبل"[110]. وفي 1 ايار 1912 اضرب زهاء 400,000 شخص، الا ان التظاهرة جوبهت بقمع وحشي من قبل السلطات القيصرية[111].

بحلول عام 1913 بلغ الانتاج الروسي الصناعي نحو 4% من الانتاج العالمي، لاسيما في نطاق الصناعات الخفيفة، وصناعة المواد الغذائية، في وقت ظلت فروع الصناعة الثقيلة ضعيفة التطور، وكانت حصة صناعة التعدين تشكل 8% من الانتاج الروسي، وصناعة الوقود 7%، وصناعة المكائن 7%، اما صناعة النسيج والمواد الغذائية فكانت تشكل 55%، الا ان الرأسمال الاجنبي ظل يمتلك في يديه الفروع الرئيسة لاقتصاد البلاد. وتأخرت في روسيا الصناعات الكيمياوية، وكان يستورد من الخارج كافة انواع المكائن والتجهيزات تقريبا، وكانت الثروات الطبيعية قد استثمرت على اضعف وجه ممكن[112]، لذا نلاحظ ان واقع العامل الروسي لم يتغير كثيرا، بل بالعكس اكتسبت الحركة العمالية نطاقا اوسع، وبلغ عدد المضربين ما يقرب من 1,500,000[113]،وشملت الاضرابات مدن: بطرسبورغ، وموسكو، ومنطقة البلطيق، واوكرانيا، والقفقاس. واتسمت اضرابات التضامن التي انتشرت بشكل واسع النطاق بعناد ،وروح هجومية .وقدم العمال مطاليب اقتصادية، وسياسية ، وسار في طليعة تلك الاضرابات عمال التعدين. وفي عام 1914 ارتفعت موجة الحركة العمالية ايضا في الفترة الواقعة ما بين كانون الثاني وتموز 1914، اذ اضرب زهاء 2,000,000 أي اقل بقليل مع الفترة المماثلة من عام 1905[114].وابرز تلك الاضرابات التي جرت في اذار 1914 عندما اضرب نحو 70,000 عامل في بطرسبورغ[115].كما اتسعت الحركة الفلاحية، فخلال خمس سنوات (1910-1914) بلغ عدد مظاهرات الفلاحين اكثر من 13000، وتعاظم نفوذ العمال، والبلاشفة بشكل ملحوظ بين الفلاحين، مما ادخل الى الحركة عناصر الوعي والتنظيم[116].

اما البلاشفة فانهم لعبوا دورا كبيرا في توسيع الحركة العمالية في مرحلة النهوض الثوري الجديد، ونفذت هذه المهمة في المجلس العام الحزبي الذي انعقد في براغ في كانون الثاني 1912، وتمثلت فيه كافة المنظمات الحزبية العاملة في روسيا، وطالبوا في هذا المؤتمر بجمهورية ديمقراطية،

---

110) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.145;

يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص538؛بونوماريوف واخرون،موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،ص99-100.

111) بونوماريوف واخرون،موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،ص100.

112) غيورغييف،الاتحاد السوفييتي،ص98-99.

113) لينين،الاشتراكية والحرب،ص34؛بونوماريوف واخرون،موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،ص104.

114) لينين،الاشتراكية والحرب،ص34؛يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص539؛دريفوس واخرون،موسوعة تاريخ اوروبا العام،ج3،ص260.

115) Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,p.148.

116) يبيفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص540.

ومصادرة اراضي الملاكين العقاريين، ويوم العمل من ثماني ساعات[117]، وتم في هذا المجلس انتخاب لجنة مركزية بلشفية برئاسة لينين، وعضوية كل من: غولوشيكين، اوردجونيكيدزه، سباندريان، بيلوستوتسكي، ستالين[118].

في ربيع 1912 تأسست جريدة بلشفية هي جريدة (البرافدا)بفضل تبرعات العمال، وصدر العدد الاول منها في 5 ايار 1912،واظهر العمال وعيا كبيرا ونضوجا سياسيا مقتطعين من اجورهم الزهيدة مبلغا لإصدار الجريدة، واصبحت البرافدا جريدة العمال المفضلة لأنها عبرت عن حاجاتهم، وصاغت المطالب وانهضتهم الى النضال، ولكن هذه الجريدة اصبحت ملاحقة من القوات القيصرية التي قامت بإغلاقها ثماني مرات، لكنها كانت تصدر بين حين وأخر باسم جديد. واعار البلاشفة اهتماما لمنظمات الطبقة العاملة العلنية من النقابات، وصناديق المساعدة المتبادلة، وهيئات الضمان. ولعبت النقابات البلشفية دورا كبيرا في تنظيم العمال[119].ادرك زعماء البلاشفة وعلى رأسهم لينين ان من الضروري القيام بخطوات عدة من اجل الاستمرار في تنمية الحركة العمالية الثورية لذا كتب لينين في صحيفة رابوتشي: "ينبغي زيادة توزيع البرافدا ثلاث، أو اربع، أو خمس مرات على ما هو عليه الان، ومن الضروري اصدار ملحق نقابي، ولابد من وجود ممثلين لجميع النقابات والتجمعات في هيئة التحرير، ومن المهم ان يكون لصحيفتنا ملاحق مناطقية في موسكو، والاورال، والقوقاز، والبلطيق، واوكرانيا. كما ان علينا ان نعزز بوجه كل القوميين البرجوازيين، والبرجوازيين الصغار من جميع القوميات دون استثناء وحدة العمال من جميع القوميات في روسيا، ولهذا السبب فإن علينا ان نبدأ بإصدار ملاحق من صحيفتنا مكرسة لحركة العمال في مختلف القوميات في روسيا"[120].

في خريف 1912 جرت انتخابات مجلس الدوما الرابع، وكان من رأي لينين ان الاشتراك في الحملة الانتخابية يساعد الحزب في تقوية صلته بالجماهير، وتنشيط المنظمات الحزبية، فضلا عن استغلال الانتخابات لمهاجمة الحكم المطلق، والاحزاب البرجوازية، وطرح الشعارات الديمقراطية العامة التي لم تتحقق في ثورة 1905-1907، وهي: تشكيل جمهورية ديمقراطية، ويوم عمل من ثماني ساعات، ومصادرة اراضي الملاكين العقاريين. وابدى عمال المراكز الصناعية الضخمة نشاطا ملحوظا، ففي الاجتماعات، والحفلات الخطابية الجماهيرية كانوا يصوغون للنواب توصيات يطالبونهم فيها بأن يكونوا المدافعين الحقيقيين عن مصالح الشعب. وكتب عمال بطرسبورغ في توصيتهم: "اننا نود ان تدوي عاليا من على منبر الدوما اصوات اعضاء الكتلة الاشتراكية-الديمقراطية حول الهدف النهائي للبروليتارية، وحول المطاليب الكاملة لعام 1905، وحول الطبقة العاملة الروسية باعتبارها قائد الحركة الشعبية، وحول الفلاحين باعتبارهم الحليف الامين للطبقة العاملة، وحول البرجوازية الليبرالية باعتبارها خائنة للحرية الشعبية". ولكن الانتخابات

---

117) بيبفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص541.

118) اوبيتشكين واخرون،لينين،ص113.

119) V.I. Lenin, Collected Works,(Mosco,1977),Vol:33,P.351;V.I.Lenin,Collected Works, (Mosco,1977),Vol:36,P.281; Commission of the Central Committee of the C.P.S.U, History of the Communist party of the soviet union,P.149;

بيبفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص541.

120) Lenin,Collected Works,Vol:36,P.283.

اسفرت عن فوز قوى اليمين، رغم اصابة الاكتوبريون بنكسة قوية اذ حازوا على 98 مقعدا، وهو اقل بكثير مما حازوا عليه في انتخابات الدوما الثالث. ولكن القوى المعارضة تمكنت من الحصول على 150 مقعدا، منها 6 مقاعد للبلاشفة حصلوا عليها من المناطق التي تتركز فيها البروليتارية، في حين حصل المناشفة على 7 مقاعد يتزعمهم سيكدزي، وانتخبوا عن المناطق غير الصناعية، وسعيا من البلاشفة لاستخدام مجلس الدوما استخداما كمنبر علني شكلوا فيه كتلة مستقلة لان المناشفة كانوا يعرقلون عملهم. وحافظ نواب البلاشفة على صلات وثيقة مع العمال، وكانت خطاباتهم التي تفضح القيصرية تلقى تأييدا من قبل الناخبين(121).

(121) لينين،الاشتراكية والحرب،ص35، 37؛بييفانوف وفيدوسوف،تاريخ الاتحاد السوفيتي،ص541-542؛دريفوس واخرون،موسوعة تاريخ اوروبا العام،ج3،ص260؛رمضان،تاريخ اوروبا والعالم الحديث،ج2،ص253-254؛الكيالي،موسوعة السياسة،ج1،ص412.

المصادر:

1.**ابجيانزي وزاريت**، ريتشارد واوسكار، لينين والثورة الروسية، ترجمة: محي الدين مزيد، مراجعة: امام عبد الفتاح امام،(القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة،2003).

2.**ابراهيم**، نغم سلام ،"الجذور التاريخية للثورة البلشفية"، مجلة آداب المستنصرية،العدد:61، لسنة: 2013.

3.**اوبيتشكين** واخرون، لينين،(موسكو:دار التقدم،1969).

4.**برديائف**، نقولا ،اصل الشيوعية الروسية،ترجمة:فؤاد كامل،مراجعة:راشد البراوي،(القاهرة: الشركة المصرية للطباعة،1966).

5.بونوماريوف واخرون،موجز تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي،(موسكو:دار التقدم،1970)

6.**دريفوس**، فرانسوا جورج واخرون، موسوعة تاريخ اوروبا العام،(بيروت: منشورات عويدات،1995)،ج3.

7.**رمضان**، عبد العظيم، تاريخ اوروبا والعالم الحديث،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997)،،ج2.

8.**سليبوف**،الحزب الشيوعي السوفيتي حزب الاممية البروليتارية،(موسكو:دار التقدم،1974).

9.**الشمري**، نادية جاسم كاظم ، "الثورة الروسية 1905-1907"،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، جامعة بابل،المجلد:3،العدد:2،لسنة:2013.

10.**صالح**، محمد محمد ،تاريخ اوروبا الحديث،(بغداد: مطبعة شفيق،1968).

11.**صوريا**، جورج ،300 يوم من الثورة الروسية: مشاهدات ووثائق، ترجمة: اكرم ديري،(القاهرة: دار المصرية للكتب،1972).

12.غيورغييف،الاتحاد السوفييتي اليوم،(موسكو: دار التقدم،1971)

13.**كار**، ادوارد، ثورة البلاشفة 1917-1923،(القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،1970).

14.**الكيـــــالي**، عبـــــد الوهاب(تحرير)،موســــــوعة السياســـــة،(بيروت: المؤسســـة العربيـــة للدراســـات والنشر،1985)،ج1.

15.____________، موســــوعة السياســـة،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1981)،ج2.

16.____________، موســــوعة السياســـة،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1983)،ج3.

17.____________، موســــوعة السياســـة،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1985)،ج4.

18.____________، موســــوعة السياســـة،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1990)،ج5.

19.**لوناشارســكي**، أ. ف. ،لوحــات ثورية،ترجمة:احمـد خليفة،(بيروت:مؤسسة الابحاث العربية، بلا. ت).

20.**لونيــــاكوف وغونتشــــاروف**، ب. و أ. ،لينــــين والفلاحون،(موسكو:منشــــورات وكالــــة انبــــاء نوفوستي،بلا.ت).

21.**ليلتشـــوك واخـــرون**،مـــوجز تـــاريخ المجتمـــع السوفييتي،(موسكو:دار التقدم،1973).

22.**لينين**، فلاديمير اوليانوف، مسألة الارض والنضال في سبيل الحرية،(موسكو:دار التقدم،1969).

23.____________،الاشــــتراكية والحرب،(بيــروت: دار التمدن، بلا. ت).

24.____________،ما هي سلطة السوفييت،(موسكو:دار التقدم،1973).

25.**منـتس**، أ. ،كيـف حـدثت ثـورة اكتوبر،(موسكو:دار التقدم،1987).

26.**نـوار وجمـال الـدين**، عبـد العزيـز سـليمان ومحمـود محمد ، التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهايـــة الحـــرب العالميـــة الاولى،(القـــاهرة: دار الفكـــر العربي،1999).

27.**هوبزبـــاوم**، اريـــك، عصـــر الامبراطوريـــة 1875-1914،ترجمـة:فايز الصـياغ،(بيروت: المنظمـة العربيـة للترجمة،2011).

28.**يبيفانوف وفيدوسوف**، وبيوتر وايفان، تاريخ الاتحاد الســـوفيتي، ترجمـــة: خيـــري الضـــامن ونقـــولا الطويل،(موسكو:دار التقدم، بلا. ت).

29.**AlZona**, Encaracion, Some French Contemporary Opinions of the Russian revolution of 1905,(New York,1921).

30.**Beazley**, Raymond and Others, Russia From The Varanglans to the Bolsheviks,(Oxford,1918).

31.**Commission of the Central Committee of the C.P.S.U**, History of the Communist party of the soviet union(Bolsheviks),(New York),1939

32.**Holquist**, Peter, "Violent Russia, Deadly Marxism? Russia in the Epoch of Violence 1905-1921",In:http//www.history.upenn.edu

33.**Trotsky**, Leon,1905,In:http://www.marxists.org.

34.**Lenin**, V. I, Collected Works,(Mosco,1977),Vol:6.

35.________, Collected Works,(Mosco,1977),Vol:18.

36.________, Collected Works,(Mosco,1977),Vol:20.

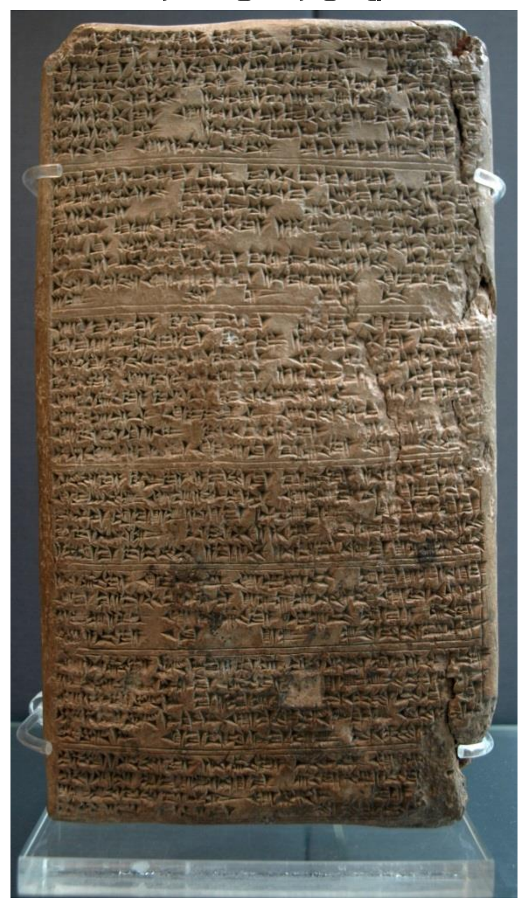
37.________, Collected Works,(Mosco,1977),Vol:33.

38.________, Collected Works,(Mosco,1977),Vol:36.

39.________,Collected Works,(Mosco,1977),Vol:38.

نصوص قديمة

نماذج من رسائل العمارنة[1]



ترجمها عن الانكليزية: علي طالب

مراجعة:

د. اسامة عدنان يحيى

[1]) ترجم نص الرسائل من المصدر:

Anson F. Rainey, The El-Amarna Correspondence: New Edition,(Brill,2014).

-نظرة اولية عن رسائل العمارنة:

نصوص العمارنة، نصوص نادرة ومثيرة تكشف النقاب عن نوع العلاقة بين بلاد الرافدين وبلاد وادي النيل في مدة زمنية محددة. تم العثور على هذه الرسائل في العمارنة في محافظة مينا المصرية وهي مدونة باللغة الاكدية المسمارية.

ان مراسلات العمارنة هي مجموعة من الالواح المسمارية بلغ عددها تقريبا 380 لوح كتبت باللغة الاكدية (بلهجتيها البابلية والآشورية) عثر عليها في قصر الملك المصري امنحوتب الرابع (اخناتون)(1376-1350 قبل الميلاد) في مدينته (أخت اتون)(Akht-aten) والتي تعرف اطلالها اليوم باسم العمارنة في محافظة منيا المصرية ، وعند ترجمة هذه الالواح تبين انها مجموعة من الرسائل التي تتضمن موضوعات مختلفة، وصادرة عن اشخاص تتفاوت مراتبهم، لذلك قسمت تلك الرسائل الى مجاميع منها مراسلات ملوك او ولاة تابعين لمصر و بعضها الآخر، رسائل ملكية بين ممالك مستقلة بذاتها كبابل و أشور و مصر[2].

[2]) اثناء تولي الملك اخناتون للعرش المصري تم نقل العاصمة من مدينة طيبة الى مدينة شيدها هذا الملك باسم اخت-اتون(العمارنة الحالية)، لكن بعد وفاة هذا الملك عادت العاصمة مجددا الى طيبة، وهجرت العاصمة التي شيدها الملك المتهرطق في نظر المصريين. وقد بقيت العاصمة اخت-اتون مهجورة الى عام 1887، عندما عثرت احدى الفلاحات المصريات التي كانت تبحث عن بعض الاحجار لبناء فرن لها على مكان وثائق العمارنة. وكان لسوء الحظ انه لم يعرف احد في ذلك الحين اهمية تلك الوثائق، وعن طريق بعض تجار الاثار، وصلت تلك الوثائق الى بعض العلماء، الذين اعتقدوا خطأ آنذاك انها مزيفة، ولا قيمة لها، اذ لم احد يتوقع في القرن التاسع عشر ان يتم العثور على الواح مسمارية في مصر. ونتيجة الاهمال لم يبق من تلك الالواح الكثيرة التي عثر عليها الا عدد قليل، وعندما جاء الوقت الذي عرف فيه العالم قيمتها، كان اكثر من نصفها قد تحطم، ولم

نتناول في هذه الصفحات الرسائل التي تبادلها ملوك بابل و أشور مع ملكي مصر على التوالي امنحوتب الثالث(1405-1376 قبل الميلاد) ، وابنه الملك امنحوتب الرابع المعروف بأخناتون اي بحدود القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ويمكن تلخيص اهمية هذه الرسائل بالتالي:

- انها تلقي الضوء على طبيعة العلاقة بين بلاد الرافدين، وبلاد وادي النيل، و ما بينهما من ممالك و بلدان.

- تكشف عن السياسة الخارجية لبلاد وادي النيل ولربما يمكن استشفاف سياسة وادي الرافدين الخارجية منها ايضا.

- تبين اهمية اللغة الاكدية (بلهجتيها البابلية والآشورية) كلغة تجارية او لغة عالمية كما هو حال اللغة الانكليزية اليوم، والذي اجبر بلدان خارج حدود بلاد الرافدين الى هجر لغاتهم الاصلية، و استخدام اللغة الأكدية كلغة مشتركة.

-دراسة فن التخاطب والرسائل بين ممالك العالم القديم و دبلوماسية ملوك الشرق الاوسط القديم.

-يمكن من خلال هذه الالواح معرفة الخريطة السياسية، وعناصر القوى في مناطق الشرق الاوسط في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

-فضلا عن ان الكثير من النقاط المهمة التي يمكن استنتاجها من هذه الرسائل و التي لا مجال الى ذكرها كلها هنا.

يبق منها الا نحو 300 لوح، موزعة الان بين متاحف مصر، ولندن، وبرلين، وفيينا، وباريس، وغيرها من المتاحف. وسرعان ما ادرك العلماء ان اغلب هذه الالواح كانت مراسلات دبلوماسية بين ملوك مصر، وملوك اسيا الغربية، وبعض الحكام المصريين في سوريا. وعندما بدأ المنقب فلندرز بتري في عام 1891 في تنقيباته في المنطقة باحثا عن بعض من تلك الالواح لم يجد الا القليل(المراجع).

-ملاحظـــات حـــول ترجمـــة النصـــوص:

+ الكلمة الواردة بين هلالين() هي مضافة من قبلنا لإتمام المعنى.

+ علامة الاستفهام الواردة بعد بعض الكلمات تفيد ان المترجم غير متأكد من الترجمة او ان الترجمة لا تتوافق مع السياق.

+ ورود النقاط .... يفيد الى موضع ينخرم فيها النص.

+ الكلمات الواردة بين علامات الاقتباس " " تعني ان الوارد اما اسم علم او مكان او انه فعلا اقتباس.

-الرسائل المترجمة:

<u>الرسالة الاولى:</u> رسالة من الملك المصري امنحوتب الثالث الى الملك البابلي (الكاشي) كاداشمان-اينليل الاول(kadašman-enlil)(1374-1360 قبل الميلاد). وتسبق هذه الرسالة رسالتين مفقودتين، الاولى: تتضمن طلبا من ملك مصر (امنحوتب الثالث) الزواج بأبنة الملك البابلي. والثانية: تتضمن رد الملك البابلي على رسالة ملك مصر الاولى اما الرسالة ادناه فهي الثالثة على الترتيب و هي رد على رسالة ملك بابل المفقودة، ولكن يمكن من خلال نص الرسالة ادناه اقتفاء اثر رسالة الملك البابلي خاصة ان امنحوتب الثالث (باعث الرسالة) يحاول ان يجيب على كل نقاط الملك البابلي الواردة في رسالته المفقودة لا بل يقتبس منها، مما ساعد على فهم فحوى الرسالتين.

نص الرسالة:

(1 – 6) اتحدث الى كاداشمان-اينليل ملك ارض كاردونياش(kardunaš)[3] أخي، هذا نيموريا (امنحوتب الثالث) الملك العظيم ملك ارض مصر

[3] اوجد الملوك الكاشيون الذين حكموا بلاد بابل في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد مصطلح كار-دونياش أي بلاد دونياش، وهو اسم احد الالهة الكاشية، وقد اطلق هذه التسمية على بلاد سومر واكد(بلاد بابل).

أخوك. كل شيء على ما يرام معي، عسى ان يكون كل شيء بخير بيتك، زوجاتك، ابناءك، نبلاءك، خيولك، عرباتك وأراضيك.

(7 – 9) كل شيء على ما يرام معي، بيتي، زوجاتي، أبنائي، نبلائي، خيولي، عرباتي، وقواتي، كلها بخير، وكل شيء ضمن سلطتي بخير.

(10 – 17) الآن انا سمعت الرسالة التي بعثت بها (الي) بشأنها (أي بشأن اخت الملك البابلي) والتي كانت (اي الرسالة)(تتضمن):

"انت تطلب (مني) أبنتي كزوجة (لك)، وأختي التي أعطاها ابي لك، والتي هي معك(الآن)، الى ان احد لم يرها؟، (ولم يعرف احد) ان كانت حية ام ميتة؟ ".

(هذا) ما ارسلته لي في لوحك، هذه كلماتك، (لكن) متى ارسلت لنا (مبعوثا) رفيع المقام (مبعوثا) يستطيع ان يحدثها، و يميزها؟ دعه يحدثها.

(18 – 21) المبعوثون الذين ارسلتهم غير نافعين احدهم كان .....الخاص بـ "زاكرا".(و)الآخر كان راعيا للحمير في ارض .... لم يكن احد من بينهم (يعرفها او) مقربا من والدك ليتعرف عليها.

(21-25) اما بشأن المبعوثين الذين عادوا اليك وقالوا لك بأنها لم تكن اختك، فلم يكن هناك بين كليهما من يعرفها ليخبرك بأنها بخير وهي حية. (كان قد) اعطي (للمبعوث) شيئا في يده ليوصله الى امها؟.

(26 – 36) اما بالنسبة لما كتبت (في رسالتك) قائلاً: "تكلمت الى رسلي، بينما كانت زوجاتك مجتمعات امامك،(حتى) ظهرت سيدة امامك (امام ملك مصر) وقلت: انظروا ملكتكم (تلك) التي تقدمت امامكم، لكن رسلي لم يميزوها، هل كانت اختي (او) شبيهة (بها)؟" ها انت كتبت لي (قائلاً) " رسلي لم يميزوها"، ثم تسأل " من ذاك الذي يعرفها؟". لماذا لا ترسل لنا (مبعوثا) ذو مقام رفيع يصدقك الرسالة؟ يوصل لك تحيات اختك التي هي هنا؟ (مبعوثا) يمكنك ان تثق به ليدخل بيتها، ويرى (طبيعة) علاقتها بالملك.

(36 – 46) و عندما كتبت (لي) قائلاً: "لعل تلك التي رآها رسلي كانت ابنة احد الاشخاص من الطبقة الدنيا، لربما من "كاشكينش"(؟)، او هي فتاة من ارض "خانيگلبات"(Ḫaniglbat)[4]، او ربما هي من ارض اوغاريت(Ugarit)[5]. من يستطيع ان يثق بهؤلاء (وقولهم) انها تشبهها (وليست اختي)؟، هي لم تفتح فمها، لا تستطيع ان تثق بهم على اي شيء". هذه هي كلماتك، لكن ان ماتت أختك، فلماذا أخبأ موتها؟ و لماذا اقدم (شبيهة بها على انها اختك)؟ ان الاله آمون(Amon) يعلم بلا شك ان اختك حية.

(47 – 49) لقد عينتها اختا للملكة الام و سيدة البيت ... طير الـ ..... واحد ....

(50 – 53) .... دونا عن كل الزوجات ......

..... الذين قام ملوك مصر ....

.... في أرض مصر

وكما كتبت (لي) قائلاً:

"بالنسبة لبناتي اللاتي تزوجن ملوكاً في الأراضي التي تجاورنا،

(54 -61) (فلأن) زارهم رسلي، تحدثوا اليهن وارسلن الي هدية.

اما (ابنتي) التي عندك...."

هذه هي كلماتك.

لربما كان الملوك في جوارك اغنياء وعظماء (بالتالي) تكسبن بناتك منهم اشياء فأرسلنها لك،

ولكن ما ذاك الذي تملكه ابنتك التي الى جانبي؟

لكن ما ان حصلت (ابنتك) على شيء، فأنها سرعان ما ستبعثه اليك. أ من المناسب اني تعطي بناتك من اجل ان تنال كساءً من جيرانك؟

[4] خانيگلبات: موطن الخوريون، وهي جهات ما بين النهرين العليا.

[5] اوغاريت: رأس الشمرة الحالية في محافظة اللاذقية السورية.

(62 – 77) اما بالنسبة لما نقلت من كلام والدك، دع (ذلك) لا تقل كلماته (ألا انه) "حقق اخوية ودية بيننا" هكذا كتبت (انت) الآن نحن اخوة، انا وانت كلينا، لكنني غضبت بسبب رسلك لأنهم قالوا لك: "لم يقدم شيء لنا (نحن) الذين ذهبنا الى مصر". هؤلاء الذين جاءوا الي، أ رحل احدهما دون ان يأخذ فضة، وذهب، وزيت، وكساء، و كل شيء جميل، اكثر من (عطايا) اي بلد آخر، لكنه مع ذلك لا يقل الحقيقة لمن ارسله؟. في المرة الأولى ذهب (هؤلاء) الرسل الى ابيك وقالت افواههم الكذب، وفي المرة الثانية ذهبوا اليك وقالوا لك الكذب. لذلك قلت "ان قدمت لهم العطايا او ان لم افعل فسيخبرون عني الكذب". وعندها قررت و لم اعط لهم شيئا

(78 – 88) و كم اكتبت (الي) قائلاً: "انت قلت لرسلي، الا يملك قائدكم جنوداً؟ الفتاة التي اهداها لي لم تكن جميلة "، هذه هي كلماتك (لكن) لم يكن الامر كذلك، رسلك يتكلمون اليك بالكذب بهذا الخصوص. ان كان هناك جنود ام لم يكن، فأن هذا الامر معروف بالنسبة لي فما الضروري في ان أسأله أن كان لديك جنودا او خيول؟. لا، لا تصغ الى رسوليك الذين بعثت بهما الى هنا (هما) لا يقولان الا الاكاذيب، ربما كانا خائفين منك؟ ولهذا السبب افتروا هذه الاكاذيب ليفلتوا من عقابك؟

(88 – 95) كما تكلمت (لي) قائلا: "كان (اي امنحوتب الثالث) قد وضع عرباتي بين عربات حكام المدن، لم تقم بعرض (عرباتي) بشكل منفصل. لقد اهنت عرباتي امام الحشد بعرضك لها (مع باقي العربات) دون فصل". بلا شك ان العربات هنا، بلا شك ان خيول بلادي هنا، كل عربات الخيول يجب ان تجهز

(96 – 98) عندما ارسلت الى(في) يدي اناء (لـ) أمسح على رأس الفتاة، ارسلت الي هدية واحد (الا وهي) زيت نقي.

الرسالة الثانية: رسالة من الملك البابلي (الكاشي) كاداشمان-اينليل الى الملك المصري امنحوتب الثالث. والحقيقة ان فقدان الرسائل بين الملكين، وعدم معرفة التعاقب الزمني بين تلك الرسائل، واقتصار الرسائل على تلك المرسلة الى مصر دون المرسلة منها (عدا جزء يسير) يضعنا في حيرة من الترتيب الاصلي لها، مع ذلك حاول العلماء ترتيبها من خلال محتواها الرسالة ادناه من ملك بابل الى ملك مصر وهي من فحواها اشبه ما تكون ردا على رسالة الملك المصري، وطلبه بالزواج من ابنة ملك بابل. ولكن الغريب، والذي يشكك في الترتيب الذي وضعه الاستاذ رايني، والاستاذ موران ان الملك البابلي يبدو وكأنه يسمع للمرة الاولى بموضوع الزواج حيث يرد في السطر السابع كما نرى ادناه اقتباسا من رسالة سابقة للملك المصري امنحوتب يطلب فيها الزواج من ابنة الملك البابلي لاول مرة، والرسالة التي عرضناها يوم امس تبدو انها جواب لاحق على الرسالة ادناه، وليس العكس، لكن على العموم الفكرة العامة مفهومة، كما نحب ان نشير الى ان الاستاذ كوندير اختلف في ترتيبه للرسائل عن كل من موران ورايني، ووضع الرسالة الثانية و الثالثة قبل الرسالة الاولى.

نص الرسالة:

وجه اللوح:

(1 – 5) الى نيموريا (امنحوتب الثالث) ملك ارض مصر اخي، (يقول) كاداشمان-اينليل ملك ارض كاردونياش (بابل)، كل شيء معي ومع آراضي بخير، لك، و لزوجاتك، و لأبنائك، و لنبلائك، ولخيولك، وعرباتك و كل اراضيك عسى ان يعم الخير.

(6-11) و فقا لما كتب اخي لي (بشأن الزواج) قائلا: "ارغب بأبنتك (للزواج) "، و لم لا؟ بناتي موجودات لكن يجب ان يكون ازواجهن من الملوك او من سلالة ملكية، هؤلاء فقط من يأخذون بناتي (للزواج)، لا

يعط ملك ابنته للزواج لمن هو ليس من السلالة الملكية.

(12 - 13) بناتك موجودات، لم لا تبعث لي بواحدة (للزواج)؟............

قفا اللوح

(1 - 9) .... خيول جيدة..... 20 .....خشبية .... من الذهب، 120 شاقل....ارسلت لك كهدية احييك بها، 60 شاقل من اللازورد ارسلتها لأحيي بها اختي كونها زوجتك.

<u>الرسالة الثالثة:</u>

نص الرسالة:

(1 – 6) تكلم الى نيموريا ملك ارض مصر اخي، هكذا قال كاداشمان-اينليل ملك كاردونياش (بابل) اخوك: كل شيء بخير معي، عسى بيتك، وزوجاتك، و ابنائك، و اراضيك، و عرباتك، وخيولك، و نبلاءك يكونوا بخير.

(7 - 12) بشأن الفتاة اليافعة، ابنتي تلك التي كتبت عنها (طالبا) الزواج، نضجت و (اصبحت مستعدة) للزواج، ارسل (وفدا) و دعهم يأخذوها. في الماضي كان ابي يرسل (لك) مبعوثا وما كنت تؤخره اياما كثيرة، دأبت ان ترسله (عائدا) في طريقه بسرعة، و دأبت على ان ترسل هدايا جميلة الى والدي.

(13 - 17) الان عندما ارسل لك رسولا، أخرته ست سنوات، (ثم) بعد الست سنوات ارسلت 30 منا من الذهب كهدية ترحيب، (الا انها) بدت كالفضة، أذابوا الذهب بحضور "كاشي" مبعوثك الذي شهد ذلك.

(18 - 22) عندما احتفلت بمهرجان كبير لم تبعث برسولك ليقول (لي):"تعال كل واشرب"، ولم ترسل هدية ترحيب معه، هذه الثلاثين منا من الذهب (التي ارسلتها لي) ليست مساوية لهدية الترحيب التي ارسلها لك في اي سنة من السنوات

(23 - 28) لقد بنيت بيتا جديدا ، وفي بيتي (الجديد) بنيت بابا عظيما، رسولك كان قد رأى البيت الجديد، اما الان فانا اصنع مدخلا للبيت لذلك (انا ادعوك) لتأتي هنا، كل و اشرب معي.

(29 - 31) لن افعل ما فعلت، 25 رجلا و 25 امرأة، اجمالي 50 شخصا هدية ترحيب بك هذا هو ما ارسلت لك

(32 - 34) .... لعشر عربات خشبية، وعشر فرق من الخيل، كهدية ترحيب لك، هذا هو ما ارسلت.



تصدر عن اشوربانيبال للكتاب